

سلسلة

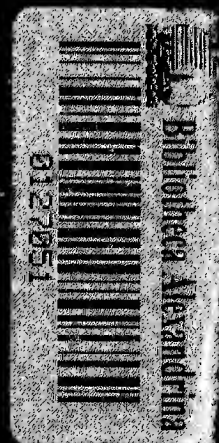
رسائل آخر الزمان (٣)

العاثون إلى الله

قراءة في سر الأسرار

لأجل ما هو صعب الإجابة...

أحمد أبو النور



جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

سلسلة
لآخر الزمان (٣)

العائدون إلى الله

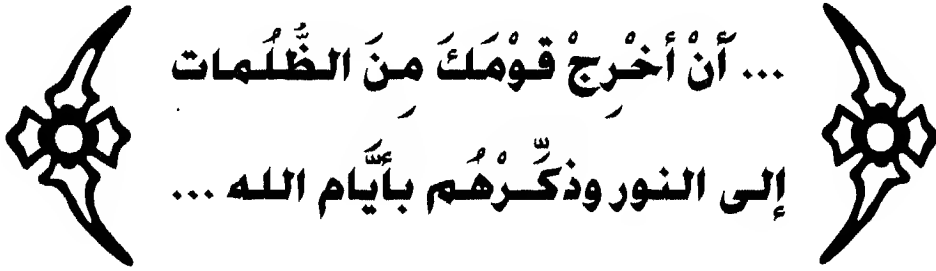
قراءة في سر الأسرار
لإجابة ما هو صعب الإجابة

أحمد أبو النور

ظهر أولى الكتاب

تصميم الغلاف :
م. محمد جمال الدين محمد وهدان

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
بسم الله الرحمن الرحيم



صدق الله العظيم (إبراهيم: ٥)

• بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ •

أَحْمَدُ رَبَّنَا اللَّهَ تَعَالَى ، وَأَشْكُرُ فَضْلَهُ الْعَظِيمَ ، وَإِحْسَانَهُ الْعَمِيمَ ، وَالَّذِي تَعَجَّزُ مَعَهُ أَلْسِنَةُ الْخَلْقِ ، أَنْ يَقْدُرُوهُ - حَمْدًا وَشُكْرًا - حَقَّ قَدْرِهِ وَمَقْدَارِهِ الْعَظِيمِينَ .

رَبِّ ... أَقْدَرُكَ حَقَّ قَدْرِكَ وَمَقْدَارِكَ الْعَظِيمِينَ ، وَأَتَبَرُّ مِنْ حَوْلِي وَقُوَّتِي لِحَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ وَأَتَبَرُّ مِنْ عِلْمِي الْجَاهِلِ الزَّائِلِ ، ... « سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ... » ... رَبِّ ... لَا أَدَّعِي لِنَفْسِي شَيْئًا ...

إِنْ هِيَ إِلَّا رَحْمَتُكَ السَّارِيَّةُ فِيْنَا ... وَالنَّاطِقَةُ عَلَيَّ أَلْسِنَتَنَا ...

رَبَّنَا اللَّهُ ... لَكَ أَسْجُدُ حَمْدًا وَشُكْرًا ... أَنْ سَرَتْ فِي رَحْمَتِكَ فَأَنْطَقْتَنِي بَعْدَ صَمْتٍ وَصُومٍ عَنِ الْكَلَامِ ... أَنْطَقْتَنِي رَحْمَتُكَ ... فَكَتَبْتَ عَنْ رَحْمَتِكَ ...

رَبَّنَا اللَّهُ ... لَكَ أَسْجُدُ خَوْفًا ... فَأَنَا مَنْ أَنَا حَتَّى أَقُولَ عَنْكَ ...

رَبَّنَا اللَّهُ ... لَكَ أَسْجُدُ طَامِعًا ... إِنْ قَبِلْتَ لَوَجْهِكَ مَا خَطَّتْ يَدِي ... فَاجْعَلْنِي مِنَ الْمَقْبُولِينَ عِنْدَكَ ...

رَبَّنَا اللَّهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ تَقَدَّسَ اسْمُكَ ... أُمِّرَكَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ... كَمَا رَحِمْتَكَ فِي السَّمَاءِ ... كَذَلِكَ اجْعَلْ رَحِمَتَكَ فِي الْأَرْضِ ... وَارْحَمْنَا وَتُبْ عَلَيْنَا ... إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ .

آمين

—■ قبل أن تقرأ هذا الكتاب ■—

قبل أن تقرأ هذا الكتاب ...

لعل حقيقة الحقائق ، وأنصعها على الإطلاق وأكثرها بساطة وتعقيداً في ذات الوقت ، هي أننا أصحاب وجود في هذا الكون ..! مثلنا مثل غيرنا من أنواع المخلوقات التي نعرفها والتي لا نعرفها ، وإن تشابهنا معها أو اختلفنا . فكل مخلوق في هذا الكون هو موجود ، إذن فهذا الكون - بكل إطاراته وحدوده وقوانينه وزمنيته وأينيته ويكل ما يحويه - هو مجرد « خَلْق » ، تأصلت فيه - مؤقتاً - أنواع لا حصر لها من المخلوقات ، تنضبط بقوانين صارمة الحبكة لا مجال لأحد على خرقها أو تعديلها ، أو الثورة أو الإعتراض عليها ، لكننا نرى ذلك يراود الكثير من الخلق !!

كيف ؟! ولماذا ؟!

فالكل - ما نعلم وما لا نعلم ، ما نرى وما لا نرى - مخلوق ...

فما هو المخلوق إذن ؟!

هو ما تم إيجاده - أو خلقه - بشكل معين لأهداف وأداءات معينة ، إرتباطاً بقوانين تنظيمية وتنسيقية تُنظّم هذا المخلوق في حد ذاته ، وتُنسّق أيضاً ما بين هذا المخلوق وبقية المخلوقات ...

فالإنسان مخلوق له قوانينه التي تُنظّمه ... ميلاد ... مأكّل ... شراب ... تنفس ... حياة ... موت ... الخ ، والهواء مخلوق ... والشمس مخلوق ... والأرض مخلوق ... الخ ...

ولكل مخلوق قوانين تُنظّمه تماماً ، وأخرى تنسيقية لضمان تناغم الكون بمخلوقاته وانضباط مسيرته الكلية الجماعية بما يحوى ...!

والمخلوق - كل مخلوق - هو مُحدث ... بمعنى أنه تم إيجاده في لحظة معينة لم يكن موجوداً قبلها . إذن فكل المخلوقات ، ما نعلمه ، ما لا نعلمه ، ما نرى وما لا نرى ، كلها محدثة ، أي كانت لها لحظة إيجاد لم تكن موجودة قبلها .

ويدهى أن المخلوقات لم يتم إيجادها - بالتزامن - دفعة واحدة . ومعنى أن للمخلوقات ترتيباً في القِدَم ، فهناك منها التي سبقت الأخرى من منظور أقدمية أو أسبقية الإيجاد .

قبل أن تقرأ هذا الكتاب ...

ومن البديهي أيضاً ، أننا لو زعمنا معرفة ترتيب سلسلة المخلوقات بدقة من حيث درجة القدم ، ومعنى أن هذا خُلِقَ سابقاً وهذا تالياً وذاك آخراً ... الخ . إن أقصى ما سنصل إليه لحظتها أن هناك سلسلة مخلوقات ذات درجات قدم مختلفة ، وسنصل أيضاً إلى أن هناك لحظة شهدت أول نوع من الخلق ، ولكن ماذا قبلها ؟!!

قبل أول خلق ، لم يكن سوى الخالق (تعالى) ، ماذا كان الوضع لحظتها ؟!!
كان الخالق تعالى ، ولا شيء ولا أحد معه ، لأن كل شيء وأحد هو مخلوق ، وقبل الخلق ما كان سوى الخالق ...!! .. لأنه من البديهي أن يسبق الخالق ما يخلق ، ولكي يكون الخلق لابد من وجود مَنْ يخلق ...!

والخالق - تعالى - كان يمكن أن يظل كما هو ولا يخلق ما خلق ...!!!
وبعد أن خلق ما زال هو كما هو ... لم تضاف له مخلوقاته شيئاً ...!!!
والدليل على ذلك أنه كان قبلها كما هو بعدها !!

إن مَنْ يفعل شيئاً لابد وأن يكون له من الأسباب التي تجعله يفعل ما يفعل ... نعم هذا منطق صحيح ولكن في نطاقنا نحن كمخلوقات ، لأن الأسباب ومبرراتها للمخلوقات إنما هي مُحَرَّكات وبواعث فعل لصاحبها ، وهي تحوى من الإضطراب - ما تحوى - لقيام الفاعل بأداء الفعل . ولكن الخالق تعالى لم يكن مضطراً أن يخلق ...!!!
لماذا خلقنا الخالق إذن ، وخلق كل شيء ...!!؟

بل أنه - كما قلنا - خلق كل نوع من الخلق ومعه قوانينه المنظمة له ، وأخرى تنسيقية بين أنواع المخلوقات وبعضها البعض ... والقوانين المنظمة لكل مخلوق ، والأخرى التنسيقية العامة السارية المُطبَّقة على كل المخلوقات ، إنا هي تنظيم لبدء واستمرار ونهاية كل مخلوق في سلام وتناغم بين جنسه وبين كل أجناس مخلوقات الكون .

فمثلاً ... من القوانين الخاصة التي تنظم حياة الانسان مع نفسه ومع بنى جنسه قانون الزواج ، والذي يحكم الإنسان في وجود نسل أو سلالة إنسانية جديدة ، وليس للإنسان مخرج من ضرورة التعامل مع هذا القانون ... إذا ما أراد وجود نسل جديد ...! وكذلك قوانين الإحتياج للطعام والشراب لاستمرار الحياة ... التنفس ... الموت ... الخ .

ومن أمثلة القوانين العامة ... الليل والنهار ... والشمس ... والقمر ... واستفادة الإنسان منها واحتياجه إليها ... الخ .

قبل أن تقرأ هذا الكتاب ...

هذا وغيره كثير وكثير جداً ... ولكن ... نعود مرة أخرى لسؤالنا ... لماذا خلقنا الخالق؟؟

ويعد أن خَلَقْنَا هل تركنا دون فتح حوار بينه - تعالى - وبيننا؟؟

أم أن الحوار مفتوح ...؟؟ وما جدوى هذا الحوار؟

وهل بعد أن خلق - تعالى - كل نوع من المخلوقات وضَبَطَهَا بقوانينها الحاكمة لها ونَسَّقَ بين كل المخلوقات بقوانين تنسيقية مُحكمة ، أَيْظَل لدى الخلق ما يحتاج لقوانين أخرى؟

وهل بعد ضبط الكون والمخلوقات بالقوانين ، يحتاج الأمر لتدخل الخالق في مسيرة حياة مخلوقاته ؟

وهل يحتاج الإنسان لنوعية قوانين خاصة أخرى تُرشد ما لم تحكمه القوانين الأساسية لطبيعة خلقه وجنسه؟؟

وهل هناك في الإنسان ما لم تحكمه تلك القوانين؟؟ ... نعم ... يحتاج الإنسان لضبط ما هو غير مادي فيه ، يحتاج لضبط وترشيد ما لا يُرى بداخله ، والذي هو حقيقته ... فالكون الذي تم إيجاد الإنسان فيه ، إنما تُنظَّم فيه حياته من حيث كيفية الوجود ابتداءً من خلال الميلاد لأب وأم وخلال مسيرة حياته وحتى مماته ارتباطاً بتلك القوانين التي ذكرناها ...

إذن فتلك القوانين إنما تُنظَّم للإنسان ماديته مثل أى نوع آخر مادي من المخلوقات . ولكن أين خصوصية الإنسان كخلق ؟ أين قوانين ضبط وتغذية روحه ونفسه وعقله؟؟ ... ولذلك كان لابد من فتح حوار بين الخالق تعالى والمخلوق بل والأكثر من ذلك هو استمرارية هذا الحوار ...!!! نعم فالحوار مفتوح ... بدأه الخالق مع المخلوق ... أمماً وأفراداً ... لكننا نجد الانسان بسوء فهمه ثائراً متمرداً على نفسه وعلى خالقه وهو لا يدري أن الحوار مع خالقه مفتوح ... وكان أولى به أن يسمع ويعى ويهدأ ...!

لكنه ثائر ...!

قبل أن تقرأ هذا الكتاب ...

ويسأل نفس السؤال الذى سألناه بهدوء ... « لماذا خلقنا الخالق » ؟!

ولكنه يسأله بثورة ويسخط ...!

يقول لك ... لماذا خلقنا الله ؟! « مش عارف أنا جيت ليه » ؟!

من أنا ... ومن أنت ... من أين أتينا ... ولأين نمضى ... ؟!

أنا فقير ... وهذا غنى ... هذا مريض ... وذاك صحيح ... هذه جميلة وهذه أقل
جمالاً ... هذا مُسلم ... وذاك مسيحي ... هذا رجل وتلك امرأة ... هذا أبيض ... وذاك
أسود ... هذا ابن فلان ... وأنا ابن فلان ... الخ .

لماذا الأمر هكذا ؟! ... لماذا أنا وُلدتُ فى مصر ... ولم أُولد فى إنجلترا مثلاً ؟ لماذا
لم يكن ميلادى فى عام ١٨٠٠ مثلاً أو فى عام ٢٠١٠ ... الخ .

أنا غير متحكم فى شئ ... الأمر كله خارج نطاق أيدينا ... ثم بعد كل ذلك يأتى
الموت ... وينتهى كل شئ ...!

وتأتى الأديان وتقول إن الله الذى خلقكم ، إنما لديه جنة للأبرار ونار للأشرار !!

أى أبرار وأى أشرار هؤلاء ... وهم لم يتحكموا فيما جاءوا فيه ؟!

وكيف تواجد الشر فى هذا العالم ؟! ولماذا لم يُرَحِّنا الله منه ؟!

بل تجد هذا الثائر ... يقول لك ... قرأت الكتب والمجلدات عما يسمونه القضاء
والقدر والتسيير والتخيير ، ولكنى بعد كل ذلك أجد نفسى مُسيِّراً ومدفوعاً لما أنا فيه ...
فكيف يحاسبنى الله على ما أوجدنى فيه ؟!

أو ليس هو القائل « يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ » ؟! إذن ولطالما هو الذى قال
هذا ، فذلك تأكيد على أنه يُضِلُّ هذا ويهدى ذاك ، فكيف يكافئ من هداه هو ، ويُعاقب
من أضله هو !!!؟

ولأكثر من ذلك تجد هذا الثائر المسكين يقول لك ... إنهم يتكلمون عن الملائكة وعن
الشياطين ، وأن هذا خير وذاك شر ... إننى لا أرى هذا ولا ذاك ...

أىكون من المنطق أن أقتنع بما ليس له أى معنى فى داخلى ؟!

قبل أن تقرأ هذا الكتاب ...

وفقط أقتنع بما ورثته تاريخياً عن الآباء والأجداد ، دونما إجابة لأى سؤال أو فهم لأى شئ أو إرضاء لأى منطق ...؟!

ثم إننى وُلدتُ فوجدت نفسى ذا ديانة موروثه ، ولكن هناك ذوى ديانات أخرى ، أنا ورثتها وهم ورثوها ، وعلى كل منا أن يناضل ويكافح لإعلان وإظهار أن ديانتهم هى الحق وما عداها هو باطل ... كيف ؟! ... ومن يقول لنا الحقيقة ؟!

العديد والعديد من علامات الاستفهام الإنسانية الحائرة ، والمئات من الأسئلة الشائكة ، ومحاولات الفهم المكبوتة ، لدى النفوس الإنسانية باختلاف هويتها الزمانية والمكانية والعقائدية ...

لذلك وللكتير والكثير غيره ... كان هذا الكتاب ...

هذا ... « وما توفيقى إلا بالله » ...

فإن كُنْتُ قد أصبْتُ فيما كتبت ... فقد وفقنى ربى ...

وإن كنتُ قد أخفقتُ ... فأسأل الله تعالى الهداية ، وأن يجعلنى ممن قال فيهم
« والذين جاهدوا فىنا لنهدينهم سببنا » ...

والحمد لله تعالى رب العالمين ...

أحمد أبو النور

● التأمل الأول ●

—■ الحقيقة .. خارج بيت العنكبوت ■—

قبل أن تقرأ هذا الكتاب ...

لعل ما وصل إليه الإنسان في كل مجالات العلوم ، إنما هو بمثابة نتاج تراكُمٍ لحصيلة البحث والتنقيب في كل شيء أدركته وسائل الإدراك الإنساني ، منذ الوهلة الأولى لوجود الإنسان الأول على الأرض ، وحتى يومنا هذا .

ولعل هذا النتاج التراكمي العلمي ، هو أساس فخر الإنسان المعاصر ، لما ملكته يداه من نظريات علمية ، واكتشافات معملية ، واستنساخ ، وتفسيرات فلكية ، ورحلات فضائية ، وهندسة وراثية ، وأقمار صناعية ، ومفاعلات نووية ، وأسلحة إبادة شاملة ، وديانات وضعية ، وإمكانية أن تحمل وتلد العاقر ، وزراعة وحصد خضروات وفواكه الفصل الواحد طوال العام ، تصدير واستيراد الفكر والتكنولوجيا ... ميلاد عقول ، تدريب عقول ، هجرة عقول ، فلتحي العقول ...!!

... ولتعمل العقول ... ليس هناك وقت ... لتعمل أكثر وأكثر ...

ليس هناك وقت ...!

... صخب ... ضجيج ... سباقات محمومة ... زحام ... تلوث ... حروب ...
رقص ... بكاء ... أموال ... فقر ... إفلاس ... ضياع ... جوع ... غناء ... موت ...
طعام ... تشرد ... قصور ... مذابح ... قتل ... إيجار ... تليفونات ... سيارات ...
وزراء ... حكومات ... مجتمع ... تطرف ... إرهاب ... مسيحي ... مسلم ... مدارس ...
جرائم ... قتل ... زواج ... طلاق ... أكبر ... أصغر ... أغنى ... أجمل ... طعام ...
شراب ... إجتماعات ...

... لتعمل العقول ... لتعمل أكثر وأكثر ... فالغد مجهول ... والخوف كبير ...!
الكل ربط عقله في ساقيته معصوب العينين ... وأخذ يدور ... ويدور ... ويدور ... في مكانه ...!!

... إنها الوثنية المعاصرة ... عبادة الإنسان لعقله ولهدفه ... !

... لماذا ؟ لأن العقل هو سبب ما يعيش فيه الإنسان ، والهدف هو ما يعيش له .

... ولأن الغد مجهول ، والهدف لم يتحقق بالقدر الكافي ... إذن لتعمل العقول ..

لتدرك السواقي ..!

الحقيقة ... خارج بيت العنكبوت

كثُرَت السواقي ... ولكلُّ منَّا ساقيته ... و الكل يدور ... ويدور ... ويدور ... حول نفسه ... من أجل الغد المجهول ...! الخوف لصيق بالإنسان ، لدرجة أن أصبح هو ظل الإنسان . والخوف أوفى صديق لمن يحياه ... والكُلُّ له صديق ... فالكُلُّ يحياه ... الكُلُّ خائف ...!

الحقيقة غائبة ، لذلك فالخوف موجود ...!

هو خائف ... لماذا ؟ ... لا يعرف ... هي خائفة ... لماذا ؟ ... لا تعرف ... الكل خائف لماذا ؟ ... لا يعرفون ...!!! إنه ليس الخوف الشاكي مُرتفع النبرة ، بل الخوف الصامت فى كوامن النفوس الخوف الذى تَعَمَلَقَ ، فصيرَ النفوس له تَوَابِعَ ...! صاغ الخوف للنفوس أهدافها الجزئية والكُلِّية ، والكُلُّ يسعى لتحقيق الهدف والخوف يزيد . والهدف يبعد أكثر وأكثر ...!

صاغ الخوف لكل نفس بيت العنكبوت ، وَحَبَكَ الخيوط ، والنفوس مستسلمة فى براثن خيوط العنكبوت ، ولم تُجَبْ إلا أن تستسلم لتلك الخيوط ...! فتوحشت الخيوط ، وأملت كل الشروط . والنفوس والعقول فى السواقي تدور ... وتدور ... ثم تعود لخيوط العنكبوت ... فتجدها قد تَعَمَلَقَتْ ، فتستسلم أكثر وأكثر ... وتظل تدور وتدور ... ولا تدري ... أن أوهن البيوت هو بيت العنكبوت ...! فالاحتفاظ بالخوف يُثمر المزيد من الخوف فى غياب الحقيقة ...!

فما هى الحقيقة ؟

هي مالا نعرف ... وأهم ما يجب أن نعرف ... حتى نتحرر من الخوف الوهمى ...! إن الحقيقة ... هى المجهول لنا ، وليس الغد بما يحمل ، والخوف بما يُثقل ... هى الحقيقة الغائبة ... لأننا لم نسأل ... أو لأننا سألنا ولم نستمع لإجابة ... أو لأن الإجابة كانت ... « إيه اللي انت بتفكر فيه ده ... ؟! » ... أو كانت الإجابة ... « إنت بتضيع تفكيرك عالفوضى ... » ... أو ... « يا أخى حرام ... » ...!!

إن الطريق للحقيقة مزروع بالعديد من علامات الاستفهام الإنسانية الحائرة التائهة ، والتى لن تهدأ حتى ترسو على شاطئ المعرفة ، إنتشالاً للنفوس الإنسانية من السقوط فى المزيد من الخوف واللا ... « هَوِيَّة » ... واللا ... « هَدَفِيَّة » ...! الكل يعيش ، الكل يأكل ويشرب ، يتزوج ، يفرح ، يبكى ... الخ . اليوم يشابه الأمس ، وكلاهما قد يُشابه الغد ...!

الحقيقة ... خارج بيت العنكبوت

كُنَّا أطفالاً ... لعبنا ... تعلّمنا ... كبرنا ... تزوّجنا ... أنجبنا ... أولادنا
أطفال ... يأكلون ... يلعبون ... يتعلّمون ... يكبرون ... يتزوجون ... ينجبون ... أبائهم
يرحلون ... أولادهم الصغار ... يكبرون ... يتزوجون ... ينجبون ... هم يرحلون ...
وتظل الدائرة تدور ... واليوم يصبح أمسا ... والغد يصبح اليوم ... وقر السنون ...
راحلون أبناء راحلين ... آباء راحلين ... أحفاد راحلين ... أجداد راحلين ...!

لماذا أتينا ؟ ... ولماذا نرحل ؟

لماذا خَلَقْنَا الله ... أنا ... أنت ... هو ... هي ... من كان ... من هو كائن الآن ...
من سيكون ... كلُّنا ... لماذا خَلَقْنَا ؟ ... وَمَنْ نَحْنُ ؟! وَمِنْ أَيْنَ أَتَيْنَا ؟! وما هي
بدايتنا ؟! ولماذا نحن ؟! وما هو مصيرنا بعد حياتنا الآن ؟! ولماذا أنا وجدتُ نفسي أنا ؟!
لماذا لم أجد نفسي أنت مثلاً ؟! لماذا أنا موجود الآن ولم يتأخَّر مجيئي لعصر آخر ؟! أو لماذا
لم أوجد في عصر مُبَكَّر عن الذي نعيشه الآن ؟! لماذا هو مسيحي وأنا مُسلم ؟! لماذا هو
رجل وهي امرأة ؟! هو غني وأنا فقير ! أنا ابن فلان وهو ابن فلان ! أنا مصري وهو
يوناني ...!!!

العديد والعديد من لماذا ؟ وكيف ؟ وأين ؟ ومتى ؟ ... الخ . العديد والعديد من
علامات الاستفهام . أسئلة جوهرية المضمون ، حائرة ومُلِحَّة . تجول بخواطرنا وخاطر من
سبقونا ، وخاطر من سيأتون بعدنا . لكنّه ... أشبه بحوار الطرف الواحد .. وسرعان
ما ينتهي حوار الطرف الواحد كما بدأ ...!

لأن الاجابة - وتقريباً دائماً - لا إجابة ...!

لماذا لا توجد إجابة ؟!

لأن السؤال تائهٌ في الزحام ... في الصَّحْب ... في السَّبَّاق المحموم ...! وأنت غير
مُصَرٍّ على سؤالك ... وَمَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ... غير مُسْتَعِدٍّ للإجابة ... أو ... يعتبرك
متفلسفاً تستهلك الوقت ... وهو ليس لديه وقت ... أو قد يسألك ... رداً على سؤالك
وهل تعرف أنت ... ؟! دائماً مواقف هذه الأسئلة ... مواقف مُشوِّشة ... لا تحمل المعاني
الصريحة الحاسمة ، التي تُرضي لأنها تُساوي ...!

وحقيقة الحقائق أن هذه الأسئلة ، وما شابهها ، إنما هي الأساس المعرفي ، والذي يجب
أن نُدرِكهُ جميعاً ، حتّى ولو على سبيل ملامسة الحقائق بلطف . لأننا يجب أن نعرف ، حتى
نتواجد بثقل فيما يجب أن نكون فيه . وحتى يُمكننا صياغة أهدافنا ، متى أمكننا قراءة
حقيقتنا . وحتى لا نظل أسرى بيوت العنكبوت ...!

● التأمل الثانى ●

—■ مَن هُوَ الْأَوَّلُ...؟! ■—

من هو الأول ... ؟!

الأوّل ... هو ربنا الله تعالى ... وهو سبحانه ... الأول بلا ابتداء ... والآخر بلا انتهاء ... من الأزل إلى الأبد ... أو من « اللا ... أين ... ومتى ... إلى » لا ... أين ... ومتى ... » . وهو سبحانه ... « الخالق » الذى « أعطى كل شئ خلقه » . وهو تعالى « الذات » الذى « ليس كمثله شئ » أى شئ ... وكل شئ ... يرد على أذهاننا ليس هو . فهو خالق عقولنا ... وتصوراتنا ... وخالق الأشياء ... ما نعلم وما لا نعلم ... ما نرى ... وما لا نرى ... ولكي نتصوره ... نحتاج أن نعرف أولاً ما لا نعرف من الأشياء ... ونضيفها لما نعرف من الأشياء ... ثم نلقى بها جميعها ...! ونبدأ لحظتها في التصور ... خارج كل الأشياء ... فهي به قامت وكانت ... ولذلك لا يمكن أن تُشبهه الأشياء ... ولذلك لا نحتاجها في التصور ...!

إذن ... قلّص الله ... خارج حيز كل الأشياء ...! ولأننا لا نعرف غير ما علمنا هو عن الأشياء ... فالأسهل ... أن نصف بما نعرف ...! إذن هو ... خارج حيز كل الأشياء ... هو ... ليس كمثله الأشياء ... أو ... هو من ... « ليس كمثله شئ » ... لكننا ... نعرف عن الله تعالى بعض الأسماء وبعض الصفات ... ومن هذه الأسماء والصفات ... ما يمكن أن يوصف به أحد من خلقه ...!

مثلاً ... هو تعالى ... « الكريم » ... ومن الممكن أن يوصف أحد الناس بأنه « كريم » ... هو تعالى ... « الصبور » ... ومن الممكن أن يوصف أحد الناس بأنه « صبور » ... كيف إذن يتفق ذلك مع قاعدة ... « ليس كمثله شئ » ... ؟!

إن « ذات الله » ... هي من « ليس كمثله شئ » ، وهي ما لا نعرف ... وهي خارج حيز الإدراك ... والتصور ... فكل شئ مخلوق ... الحرف ... الكلمة ... الاسم ... الوصف ... الفعل كل الأشياء مخلوقة ... ولذلك ما تحويه الكلمات أو وصف الصفات ... ليس هو الله ...! فهو « ليس كمثله شئ » ...!

وما تحويه الكلمات والصفات والأسماء ... إنما هي أشياء ... استطاعت الحروف أن تحدّدّها ... والله تعالى ... خارج حيز أن يتحدّد بما خلق ...!

ولكن الله تعالى عرفنا بما سمح أن نعرف ...! وكل ما عرفناه عنه ... مجرد ... « أفعال » و« أحوال » صيغت بلغة البشر كي يمكنهم إدراكها .. ومنها اشتقت الأسماء ... ومنها اشتقت الصفات ... والفعل لا يعبر لنا ولا يفهمنا فهماً كاملاً شاملاً عن ..

من هو الأول ...؟!

« ذات الله » تعالى فالله تعالى قد « خَلَقَ » ... إذن ... فهو .. « الخالق » ... و « الخلاق » ... و « أحسن الخالقين » ، والله تعالى قد « صَوَّرَ » ... إذن فهو « المصور » ... وهو تعالى قد « رَزَقَ » ... فهو الرازق ... وهو الرزاق ... الخ .

إذن فما سمح لنا الله بمعرفته ... هو ما نستطيع استيعابه عنه ...! أو ما يُمكن أن تستطيعه الكلمات ... وتفهمه العقول ...! فقد أظهر لنا ... « فيوضات وإشراقات وتجليات » أفعاله ... فعرفنا عنه تلك الأفعال ... واشتقت منها الأسماء ... ووصف الصفات .

إذن فـ « ذات الله » ليست هي تلك الأفعال ... ولا الأسماء ... ولا الصفات ...! إنما هي المتعالى على كل الأفعال والأسماء والصفات ... وهي مَنْ مَنَحَ الفعل والإسم والوصف ... إشراقة الإمداد .

إذن فما الأسماء والصفات التي نَظُنُّ أننا نصف بها « ذات الله » تعالى ... ، ما هي إلا اشتقاقات من الأفعال ، وكذلك الأحوال ، فنحن نَصِفُ أو نُسَمِّي في حيِّز ما قال هو عن نفسه مثل « الأول » و « الآخر » ... ونحن أبعد ما نكون بها عن « ذات الله » تعالى ... والتي فقط لها أن تُوصف بأن « ليس كمثله شيء » . فالتعدُّ إذن الذي نلاحظه ... هو تعدُّ راجع للأفعال المُتَعَدِّدة ... ولتعدُّ الأفعال تعدُّت الأسماء والصفات . إذن فالتعدُّ لا يعود على الذات . فلهذا سبحانه وتعالى « ذات » كامل واحد .

● التأمل الثالث ●

مَنْ نَحْنُ...؟! —

من نحن ... ؟!

لا تتعجب قبل أن تتأمل ... !!!

فنحن لسنا ظاهرة أرضية طارئة حدثت أو بدأت بميلادنا لأب وأم !!

بل كل منا عبارة عن ذات أو نفس كانت فى علم الله الأزلّى ، وكُنّا هذه الذات أو تلك النفس . كل من كان ومن هو كائن الآن ومن سيكون من الخلق وحتى النهاية .

أى أننا كُنّا تلك الذوات أو النفوس المستقرة فى علم الله تعالى والمتساوية فى كل شئ . ثم مررنا بمرحلة « التَحَقُّقُ الأوَّلَى » وهى مرحلة الخلق العادل للنفوس أو لتلك الذوات ، وبما يعنى تساويها فى كل شئ إقراراً لعدل الله تعالى . وهى مرحلة التحوّل من علم الله تعالى إلى حقائق فى عالم السكون أو « ما قبل الحياة الأرضية » والذى يتساوى مع ما نعتبره - والله تعالى أعلم - عالم عدم الوجود من منظورنا المعرفى الحسى كأحياء الآن ... !!!

وعلمنا الله تعالى ، أى علم تلك الذوات أو النفوس كل شئ . علمها كل المعانى والممكنات ... « ونفس وما سواها ، فأنهضها فجورها وتقواها .. » ... (الشمس : ٧)
فَتَشَكَّلَتْ كل ذات أو نفس - بحرية كاملة - كما أَحَبَّتْ أن تكون . وبالتالي اختارت كل نفس هويتها وجورها وملامحها واستقرت وقنعت بما رَضَتْ ، وهذا من مقتضيات عدل الله المطلق سبحانه وتعالى .

فالنفس الشريرة لم يفرض عليه الله شرّها ، والنفس الورعة التقيّة لم يفرض عليها ورعها أو تقواها . ولكن بعد الوجود فى الثوب الإنسانى على الأرض ، كُلٌّ يعمل بما قد ارتضاه واختاره مُسَبِّقاً ... « قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ .. » (الإسراء : ٨٤)

ولقد كان سيدنا آدم ﷺ هو أول ذات أو نفس أو حقيقة إنسانية تتحوّل من عالم السكون إلى عالم الوجود الأرضى . دخل آدم حيّز التنفيذ الفعلى للخلق البشرى وأخذ فرصته فى أن يكون موجوداً على صورته البشرية النهائية فى عالم الموجودات المادية المحسوسة . حين من الله تعالى على ذاته - أى على ذات آدم - أو نفسه بالجسد لتسكن فيه وتودّى به ، وينفخه الروح لكى تدب فيه الحياة .

لقد كان آدم أول ذات أو نفس إنسانية تتحقّق تحقّقاً كاملاً بعد أن أعطاه الله تعالى خلقه . وبالتالي فقد تم تعيينه - إلهياً - أباً للبشر جميعهم .

من نحن... ؟

ويعد وجود آدم ظهر طور أو عالم جديد بدأت تنتمي له النفوس أو الذوات وهو عالم « الذرية » فكل الخلق - البشر - بعد ذلك هم من ذريته .

إذن فقد بدأت النفوس - الكامنة في عالم السكون - في الانتماء إلى عالم الذرية ، وما يحمله من أنساب وألقاب وزمان ومكان للتواجد من خلال الميلاد المتعارف عليه لأب وأم .

وذلك من خلال منح الله تعالى إمكانية الوجود لتلك النفوس طبقاً لما هي أهله . أى أن الله تعالى منح الوجود للنفوس بما يتناسب مع تشكّلها الحرّ الذى سلكته هي سابقاً ، أى بعد أن أصبح لكل نفس شاكلتها . أى أن كل نفس تأخذ من الله تعالى هبة وجودها بما هي أهله وتستحقه . وذلك بمقاييس وهابيته وعدله وعلمه وإحاطته وحكمته ورزاقيته . وبما يتفق مع مشيئته تعالى لتلك النفس وما هي له ، وإتماماً لعمارة الأرض بالتواجد الإنسانى المنضبط ، وطبقاً لمقاييس ومشية الله تعالى .

والله تعالى يعامل خلقه بمطلق عدله . فحسابه اللاحق لهم إنما يستند إلى عطائه السابق لهم أيضاً ، وما يتضمنه هذا العطاء من حرية الإرادة والسلوك والتشكّل ... « مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ ، وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ، وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ » (فصلت : ٤٦)

إذن فمجمّل القول أننا لسنا مجرد ظاهرة طارئة أو مؤقتة ، إنسابت بنا من خلال حدث ميلادنا . ولكن كلُّ منّا عبارة نفس أو ذات أو حقيقة أزلية كانت فى علم الله تعالى . ثم مرّت كل النفوس بمرحلة الخلق العادل المساوى بينها جميعاً فى كل شئ . وتحوّلت بذلك إلى حقائق فى عالم السكون أو ما قبل الوجود الأراضى . ثم علّمها الله تعالى كلّ المعانى والممكنات وبالتالى تشكّلت تلك النفوس بحرية تامة ثم بخلق آدم - عليه السلام - أصبح الجميع منتمياً إلى « عالم الذرية » ، الذى نعيشه الآن ، وستعيشه البشرية إلى ما شاء الله تعالى .

وفى هذا يقول ربنا عز وجل .. « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ، ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون .. » (البقرة : ٢٨)

وفى هذه الآية ذكر الله تعالى « موتتين » . والموت لا يجرى إلا على موجود . بمعنى لا يمكن إطلاق موت على ما هو غير موجود . فلكى أكون ميتاً إذن فأنا موجود لكن

من نحن ... ؟

لا حياة لى بالمعنى المتعارف عليه للحياة . ولذلك فالموتة الأولى المذكورة فى الآية إنما تشير إلى مرحلة « النفس المُتَشَكِّلَة » فى عالم السكون وفى عالم الذُّرِّيَّة والله تعالى أعلم . ولأنَّ الإِمامة لا تكون للروح ، ولا للجسد الذى لم يتواجد بعد .

فالنفس هى حقيقة كُلِّ مِنَّا ومجموعة خصائصه وطباعه ومَعالِمِ هَوِيَّتِهِ . والجسد هو مجموعة الأدوات المساعدة على الأداء ، وإظهار تلك النفس لخصائصها . أما الروح فهى سرُّ الحياة الممنوح من الله تعالى للجسد والنفس التى يحويها .

وعلى ذلك فالموت هو استرداد الله تعالى للنفس والروح أى الحقيقة الإنسان والسبب حياته إذن فكون النفس والروح لدى الله تعالى ، فهو موت بالنسبة للإنسان .

ولذلك فقبل أن يأذن الله تعالى بنزول هذه النفس وقبل نفخة الروح ، فصاحبهما فى حالة موت بمعنى الموت المعروف لدينا .. ولأنه غير موجود بيننا فى عالم الأحياء الأرضيين .

وعلى ذلك وعودة للآية الكريمة ، فالموتة الأولى المذكورة بها - والله تعالى أعلم - هى حالة وجود النفس والروح لدى الله تعالى ، وقبل الإِذن بنزولهما فى جسد إنسان والأحياء هو أن يهب الله تعالى للنفس جسداً ، وأن يهب للنفس والجسد روحاً . والإِمامة الثانية المذكورة فى الآية هى مرحلة الموت التى تجرى على كل مخلوق على وجه الأرض . والأحياء التالى لها هو إحياء البعث من أجل الحساب .

الروح والنفس ليستا شيئاً واحداً ... !

... قد يتساءل البعض ... لماذا تَفْصِلُ بين الروح والنفس ؟ فهما شئ واحد ... !

والله تعالى أعلم أنهما ليستا شيئاً واحداً ، فالروح هى حياة للجسد أكثر منها للنفس وبمعنى أن الله تعالى خلق النفس ولها حياتها وكيونتها ووجودها وهى التى تحوى العقل والرغبات والأهداف والصواب والخطأ ... إلخ . ولكن وجود النفس فى الجسد وجوداً مُنفرداً لا يؤدى لأن يعمل الجسد . ولكن الروح هى التى تؤدى لتحرك الجسد وعمله ، وفقاً لما تُوجِّهُه إليه النفس من تعليمات . وفى هذا الخصوص يمكننا استعراض ما يلى تأكيداً لذلك ...

قال الله تعالى ... « ونفسٍ وما سَوَّاهَا ، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا .. »

(الشمس : ٧)

من نحن ... ١٥

ومعنى « سَوَّاهَا » هنا ، أى أَتَمَّ خلقها . ثم بعد تمام خلقها عَلَّمَهَا الله تعالى كل المعانى والمُمَكِّنَات ... وعن خلق آدم يقول الله تعالى ... « فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَكَفَّخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ » (الحجر : ٢٩)

... و « سَوَّيْتَهُ » هنا ، إنما تعنى إتمام الخلق نفساً وجسداً والفراغ منه ، وإن كان خلقُ النفس سابقاً لخلق الجسد . ثم تأتى المرحلة الأخيرة وهى مرحلة نفخ الروح ، للوصول بالمخلوق إلى مرحلة الإنسان التى نحيها نحن الآن ... أى أن مرحلة « نفخ الروح » هى المرحلة الأخيرة بعد تمام الخلق ذاته نفساً وجسداً .

وفى ذلك أيضاً يقول الله تعالى ... « وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنَى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ... » (الأعراف : من ١٧٢)

معنى ذلك أننا قبل الجسد وقبل نفخة الروح ، كان لنا ذات ووجود وتشكُّل وعقل وإدراك ، ويُعْتَدُّ بما نقول ونحن فى عالم السكون أو عالم الذُّرِّيَّة ، وقبل نُزولنا للأرض فى الجسد وقبل نفخة الروح . بدليل أن الله تعالى يعتبرها « شهادة منَّا على أنفسنا » ، والشهادة لا تكون إِلَّا لِلْمُذَكِّر ، وبدليل أن الله تعالى اعتدَّ بها ... حيث أن إكمال الحوار فى الآية ... « قَالُوا بلى شَهِدْنَا ... » . أى أننا كُنَّا وجوداً واعياً مُذَكِّراً فى حضرة الله تعالى .

وثمة شئ آخر يثبت اختلاف « النفس » عن « الروح » ، وهو أن الله تعالى قد أعلمنا أنه أجرى الخلق على النفس ... « ونفسٍ وما سَوَّاهَا » ... لكنه أبداً لم يذكر سبحانه وتعالى ذلك عن الروح . بل أنه تعالى جعل الروح من أسرارهِ الربَّانية ، حيث يقول ... « وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ، وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ... » (الإسراء : ٨٥)

ولنُقَرِّبَ المعنى بمثال للإيضاح (مع الفارق طبعاً) ١ ...

أنت تملك سيارة لتستخدمها فى ركوبك وانتقالاتك . السيارة هنا عبارة عن « جسد » مُعَدَّ بعناية لإتمام المهام التى وُجِدَ من أجلها وهى الركوب والسير .

لكن السيارة لا تُوجَّه نفسها بنفسها ولا تسير بمفردها ، وتحتاج إلى قائد . القائد هو أنت ، وأنت هو « النفس » المحمولة فى هذه السيارة أو فى هذا « الجسد » . هذه النفس هى « أنت » .. فهى التى لها إدراك وأهداف ومنطق وأسباب ... الخ .

من نحن ... ١٤

والسيارة لن تتحرك بدون بنزين . والبنزين للسيارة هو « الروح » ومن الممكن أن تظل السيارة بما تحويه من بنزين دون حركة ، لأنك لم توجهها لوجهة معينة ، أو لأنك لم تَقُدّها ، أو لأن النفس لم ترغب شيئاً . فالسيارة هي « الجسد » والبنزين هو « الروح » وأنت هي « النفس » التي تتحرك بالجسد الحى بنفخة الروح .

وببساطة شديدة ، فأنت بدون السيارة (بما فيها من بنزين) ، لن تستطيع أن تفعل ما تفعله فى وجود السيارة ببنزنها . أى وأنت فى مرحلة عدم وجود جسد وروح ، فأنت هو أنت ، ولكن بدون فعل إيجابى . وكما أن للسيارة متطلبات ... راحة ، تبريد ، زيوت ... الخ . كذلك لجسدك احتياجاته ...!

التَّشَكُّلُ أولاً ... أم ... أخيراً ... ؟!

قد يتبادر للذهن تساؤل ... لماذا لا نفترض أن تَعْلَمَ النفوس للمعانى والممكنات من الله تعالى إنما يتم لكل النفوس بعد ميلادها الدنيوى لأب وأم ؟! ... من خلال تَفَتُّحِ مداركها ومن خلال التعلُّم المكتسب من الأسرة ... من المدرسة ... أو من الكيان الإجتماعى العام بكل تفصيلاته ... ؟!

إن «مثل ذلك الافتراض إنما يتعارض مع "شهادتنا" التى شهدنا بها لرَبنا ، ويتعارض أيضاً مع قبول الله تعالى لهذه الشهادة واعتداده بها ... الأمر الذى ذكرناه منذ قليل ... " وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ، قالوا بلى شهدنا ، أن تقولوا يوم القيامة إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ .»

..... (الأعراف : ١٧٢)

وأنظر أيضاً للتحذير الإلهى لنا . « أن تقولوا يوم القيامة إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ » ... أى لا تَتَذَرَعُوا بالحُجج يوم القيامة ... أن هذا الأمر لم يكن معلوماً لديكم ...

إنه إذاً حوار فى حضرة ربنا الله تعالى ، ولا بد لمثل هذا الحوار أن يُتِمَّهُ الله تعالى مع موجودات عاقلة مُدْرَكَة مُمَيَّزَة . إذ لا بد قبل السؤال أن تتوافر مبدئياً هذه الموجودات وجوداً ... أى لا بد لهذه النفوس أن تكون موجودة مبدئياً وقبل إتمام هذه الحوار . ويلزم أيضاً أن تكون ذات قدرة استيعابية وإدراكية وقيمية ، وهو ما لا يمكن توافره بغير التعلُّم الذى أتاحه الله تعالى لها . إذ حتى تستطيع مثل هذه النفوس أن تُقَرِّبَ هذه الشهادة ... - ولو عدنا لنص الآية - ... « أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ » ... « بلى شهدنا » ... « أن تقولوا يوم القيامة إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ » ...

من نحن ... ؟!

فلا بد بديهيًا أن تكون هذه النفوس عالمة بالمعاني التي تُقرُّ فيها بشهادتها . مثلاً ...
هي تعلم المعنى والفرق بين الخالق والمخلوق ... وتدرك جيداً معنى الربوبية وتدرك معنى
الإقرار بالشهادة ... وتدرك معنى يوم القيامة ... وتدرك معنى ادعاء الغفلة وعدم المعرفة
ومن المؤكد أن مَنْ يُدرك تلك المعاني ، إنما لا يُدركها مُتَقَرِّدة ... إنما هي بعضٌ من كُلِّ بل
هي أخطر الكل ... وبيت القصيد ... !

وهذا يُؤكِّد - والله تعالى أعلم - ما ذهبنا إليه من أن الله تعالى بعدما خلق النفوس
المتساوية تماماً في كل شيء علَّمها كُلَّ المعاني والمُمكنات وبالتالي تشكَّلت هذه النفوس
بُحرية تامة لا ضغط فيها ولا إجبار .

لأن مفردات ومعاني الحوار السابق ، إنما تعني أن مَنْ يُدلي بشهادته أمام الله هو عاقل
مُدرِك عَالِم . والله تعالى يُقرُّ ذلك بقوله « وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ » ... إذن فالأنفس
شاهدة على ذاتها ... أو شاهدة بنفسها على نفسها ... قالوا ... « بلى شَهِدْنَا » ...
ولطالما سمح الله تعالى بهذا الموقف ، إذن فهو بمثابة شهادة من ربنا تعالى ، بأننا في موقف
مَعْرِفَتِي يسمح لنا بإتمام الموقف من أساسه ... « ونفس وما سواها فألهمها فجورها
وتقواها » ...

وهو تأكيد ذو ارتباط بتأكيد آخر وهو « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم
ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون » .

وقد قلنا أن « وكنتم أمواتاً فأحياكم » ... إنما تُشير إلى جريان الموت على موجود
وليس على معدوم . وليس شرط الموجود أن يكون موجوداً على سطح الكرة الأرضية ...

لكنه وجود يرتبط كلياً وجزئياً بحالة الموجود ذاتها . وبما يعنى وجوداً مناسباً لحالة
النفوس المتشكلة والتي مازالت في طور الذرية ، والتي لم تحصل على « الإحياء » أو هبة
الوجود الإنساني النهائي من خلال حصولها على جسد وروح وزمان ومكان ميلاد . ورأينا
أن الموت المذكور في « ثم يميتكم ثم يحييكم » إنما تشير إلى عملية الموت التي تجري
على كل إنسان على وجه الأرض ، والإحياء التالي لها إنما هو البعث من أجل الحساب .
ولعل هذا الإتساق بين « الموتين » و « الإحياءين » يحمل منطقية ووحدة
واتساق الفكر .

حيث أن بعض الفقهاء قد ذكروا أن « وكنتم أمواتاً فأحياكم » ... إنما تعنى هدى
الإيمان بعد الضلال ، باعتبار أن الضال البعيد عن الهدى الإيماني مُشَبَّه « بالميت » ،
وإحياءه هو إحياءه إيمانياً ... أي بنفس معنى « ووجدك ضالاً فهدى » ، ولكنى في هذا

من نحن ... ؟!

الخصوص أرى أن منطقية وحدة واتساق المعنى والفكر إنما أولى بنا أن نذهب معها إلى ما ذهبنا . وهو تجانس نوعي « الإمامة » ونوع « الإحياء » ، في الآية . بمعنى « إحياء » على موجودات ، و « إمامتان » على موجودات أيضاً .

ولعل المزيد من التأكيد ... في النقاش الأساسي الدائر ، إنما يُسبب إثراءً فكرياً لموضوع النقاش ...

يقول الله تعالى « إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ... » (الأحزاب : ٧٢)

إذن ... فأنت أمام موقف يمكنك فيه تخيل الموجودات التالية ... السماوات ... الأرض ... الجبال ... الإنسان ... كل هذه موجودات في هذا الموقف ... ويخبرنا الله تعالى أنه عرض حَمْلَ أمانة التكليف بفرائضه ووصاياه ... على السماوات والأرض والجبال ... فأبين أن يحملنها ... ليس عصباناً ولكن خوفاً من التفريط ... وأشفقن منها ... وحملها الإنسان ... طبعاً بعد عرضها عليه ...

إذن ... وقبل كل شيء ... وقبل أي شيء ... فالإنسان ... كان موجوداً ... وله كيان عاقل واعٍ مُدركٍ مُميزٍ عالم ... ولكن ما هو شكل أو نوع هذا الوجود ... ؟!

هو ... مرحلة النفس المتشككة ... في عالم السكون ... بعد أن علمنا الله تعالى كل المعاني والممكنات ... تشككت كل نفس كما أحببت أن تكون ... وأصبح لديها القدرة - وهي في هذا الطور من الوجودات المتاحية - أن تُفكر ... وترغب ... وتتمنى ... وتستوعب ... وتقبل ... وترفض ... وتشهد ... الخ ...

وبما يعني المزيد من التأكيد ... على كوننا كُنَّا وجوداً عاقلاً مُعترفاً به من الله تعالى ... في أكثر من موقف ... وهذه أكبر شهادة لحقيقة ما كُنَّا عليه ... قبل حدث ميلادنا لأب وأم ... وقبل التقيّد بالزمان والمكان ... شهادة لحقيقة وجودنا الواعي المدرك المميز المخير المكرم ... والشاهد هو ربنا الله تعالى ... وكفى بالله شهيداً ...

هذا وإن كان بعض الفقهاء يذهبون لتفسير ... « وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ » ... بأنها عُرِضَتْ على آدم منفرداً ، فوافق على حملها ...!

وأعتقد يقينا ... أن مُطلق عدل ورحمة ربنا الله تعالى ... أنه لا يُحْمَلُ الإنسانية كلها

من نحن ... ؟!

عبء التكليف بناءً على موافقة إنسان واحد . وليس أقل من أن نقف جميعاً فى حضرة ربنا تعالى ... كموقف ... « ألسن بربكم » ... « قالوا بلى شهدنا » ... فنحن هنا نقارن موقفنا مع ربنا ... بموقفنا مع ربنا ... حيث أن موقف « حمل الأمانة » ... أيضاً هو موقف مصيرى ... مثل موقف « الشهادة » ... الأمر الذى يحتاج لكل الناس وليس لآدم فقط ... !

وتأكيداً على حقيقة خلق الأنفس ووجودها فعلاً حتى قبل إخراج آدم إلى حيز الوجود الإنسانى ... وحصوله على هبة الوجود النهائية يقول ربنا تعالى

« ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم .. »

(الأعراف : من ١١)

لاحظ أن هذا الخبر الذى يُحدِّثنا عنه الله تعالى ، إنما تم فى حضرته وقبل إخراج آدم إلى حيزه النهائى ككائن إنسانى نهائى ... حيث يخبرنا - تعالى أنه خلقنا .. » ولقد خلقناكم « فترى ما هى طبيعة الخلق قبل الجسد ونفخة الروح ... سوى خلق النفس ... ؟! « ثم صورناكم » ... أى جعلنا لكم هيئة وشكلاً وصورة ... فما الذى يقع عليه « التصوير » هنا ؟!

هل يقع على النفس ؟ أى هل للنفس صورة وهيئة وشكل ؟!

علمُ هذا عند ربى تعالى ... ولربما مثلما وقعت على النفس « سواها » وعلى الجسد « سويتُهُ » لربما أيضاً مثلما يقع « التصوير » على « الجسد » كذلك يقع على « النفس » ... لربما فعلاً يكون للنفس ملامح وشكل وهيئة مُميَّزة ، تختلف بها كل نفس عن الأخرى ، كما تختلف كل نفس فى جوهرها وتَشكُّلها ، وكما يختلف كل جسد عن الآخر .

وكما أشرنا فإن شهادتنا السابقة فى حضرة ربنا تعالى لا تستوعب إلا موجودات عاقلة واعية ناضجة عالمة عارفة ويُعتدُّ لها بما تقول ...

وغير مقبول تفسير أن الله تعالى يقصد بـ « خلقناكم » ثم « صورناكم » هو خلق آدم ، ولطالما نحن أبناء آدم - إذن - فكأنما خُلقنا جميعاً ... وصُورنا جميعاً ... بآدم ... لا ... أعتقد تفسير غير منطقى ... لأنه لو كان - تعالى - يقصد آدم بـ « خلقناكم » و « صورناكم » لقال « ولقد خلقنا آدم ثم صورناه ... » لكنه تعالى قال « خلقناكم » ثم « صورناكم » إذن فالكل خُلِقَ وصُورَ فى هذه المرحلة ومعهم آدم « ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم » ... أى أنه تعالى يشير هنا إجمالاً لما سبق وأوضحه تفصيلاً فى آيات أخرى ...

من نحن ... ؟

وكأن المقصود هنا ... أنه تم انتقاء آدم منفرداً في هذا الموقف وبعد أن أخذ من الله تعالى هبة وجوده جسداً ونفخة روح كان أمر السجود . وأيضاً لو ذهب البعض - كما أشرنا إلى أن « خلقناكم » و « صورناكم » تعنى خلقنا وتصويرنا في آدم بعد أن تم خلقه وتصويره ، نردُّ على ذلك بأنه لو كان الأمر كذلك لقال الله ... « ثم قلنا للملائكة أن يسجدوا لكم » أو « اسجدوا لهم » ... لكنه تعالى يقول « اسجدوا لآدم » ... إذن فنحن خارج حيز آدم تماماً حين أمر السجود ...

إذن فـ « خلقناكم » و « صورناكم » إنما تعنى الجميع قبل الجسد والروح ... وخارج حيز آدم المسجود له بأمر الله تعالى من الملائكة . فهي مرحلة ما قبل إخراج آدم نفساً وروحاً وجسداً ككيان إنساني تام ... وهي المرحلة التي كان فيها أيضاً آدم في طور السكون كنفس مُتشكّلة ...

تلك النفس التي شهدت ربوبية الله تعالى علماً ومعرفة وإدراكاً ... وعُرِضَتْ عليها الأمانة وعلمت ما الأمانة ووافقت على حملها ، لا بد وأن تعلم وتعرف حتى تُسألَ وتشهد وتقبل ... الخ .

وهل يشهد الله تعالى على ربوبيته " غير الموجود " و " غير المخلوق " ؟!

وكيف يكون وجود " غير الموجود " و " غير المخلوق " ؟!

وكيف له أن يتواجد ويعلم ويشهد ويحدّثه الله تعالى ... ؟!

لا .. فلا بد من وجود " موجود " " مخلوق " تم تعليمه وتعريفه قبل إجراء أية حوارات على هذا المستوى معه ...!

كان هذا النقاش بمناسبة التساؤل الخاص ... باحتمالية أن تعلّم النفوس لمختلف المعاني والمُكَنّات قد يكون خلال حياتها الأرضية وليس قبل نزولها . وعلى اعتبار إمكانية الإكتساب والتعلّم من خلال الكيانات الإجتماعية المختلفة بكل مفرداتها . ولكن يلزمنا أن نُفرّق بين نوعين من « التعلّم » في هذا الخصوص ، النوع الأول من التعلّم وهو الذي أشرنا إليه في طور النفوس المُتشكّلة . أما النوع الثاني وهو « تعلّم » الخبرات والعلوم والمِهَن والعادات والتقاليد ... الخ . إنما هو « تعلم بيئي » يرتبط بالمناخ العام - المجتمع - الذي يتواجد فيه الفرد . وأيضاً ارتباطاً بمناخه الأسري الخاص . وتذكّر ... « قل كُلِّ يعمل على شاكلته » ...

من نحن ... ؟

... لئن فحصتها جيداً ... مع نوعى المعرفة السابقين ، لوجدت أن « النوع الثانى من التعلم » لا يطفى ولا يُسَيَّر « النوع الأول من التعلم » وهو « الشاكلة » . فالنوع الأول « الشاكلة » هو المهيمن وواضع الخطط والأهداف ... فهو حقيقة وكيان الشخص نفسه . أما النوع الثانى ، فهو « الأداة والقيود » فى ذات الوقت . فهو « أداة » التنفيذ والإخراج السلوكى النهائى من خلال مهنة ما أو .. علم ما ... أو زواج ما ... ، وهو فى ذات الوقت « القيود » ... من خلال العادات والتقاليد والأعراف والقوانين ... والإمكانات المتاحة ... إلخ .

أى أن « الملامح الذاتية للنفس » أو « الشاكلة » إنما تُوجَّه مسار صاحبها لتحقيق وإِعلاء ذاتيتها ... ارتباطاً بالأدوات والقيود المُتولَّدة عن المناخ البيئى والإجتماعى الخاص والعام المحيط بالشخص .

إذن فالصفات الحاكمة أو المهيمنة هى « صفات النفس المتشكَّلة » ، والنتى تُمارس فى ظل كافة ما هو قائم حولها ومرتبطة بها كأدوات وقيود ، وبدرجة تجاوب أو مرونة مُعيَّنة ، حتى تستطيع أن تُحقِّق أهداف ذاتها دون احتكاك بهذه القيود أو تصادم معها . وهذه هى صفات الأداء الهادئ . ولكن قد يكون أسلوب الأداء « تصادمى » ... أى عكس النمط الهادئ ، وقد يكون أسلوب الأداء متوازناً ... فلا هو بالأداء الهادئ ، ولا هو بالأداء التصادمى ... ويعنى تواجد ثلاثة أنماط رئيسية من منظور الأداءات السلوكية الإنسانية ، وكناتج نهائى لتفاعل « شاكلة » كل شخص مع كل ما هو محيط به من أدوات مُساعدة وقيود خاصة وعامة .

إذن فهناك درجة ارتباط تختلف قيمتها بين « الشاكلة » وبين « المناخ الكلى المحيط » بكل ما فيه .

وطبقاً لقيمة وقوة الارتباط بين « شاكلة الفرد » و « المناخ الكلى المحيط » ينشأ ما يمكن تسميته بـ « درجة التوافق » ، أو « درجة النفور » ، بين الفرد ذى الشاكلة وبين المناخ المحيط به (الأسرة والمجتمع) .

فالفرد « ذو الشاكلة » المرتبطة « بمجتمعه الصغير والكبير » ارتباطاً موجباً ... ستجد أن أسرته والمجتمع يتمشيان مع شاكلته ، ولا يعوقانها . وبالتالى ستجده على « درجة توافق » كبيرة جداً مع معظم ما حوله ... ولذلك تجد أداءه هادئاً ... مُنسباً فى نفس اتجاه ما حوله !..

من نحن ...؟!

وعكسه تماماً « ذو الشاكلة » المرتبطة « بما حوله » ارتباطاً سالباً ... ستجد أن ما حوله يُمثل عائقاً صلباً أمام انطلاقات « شاكلة نفسه » . وكأنه يسير بنفسه عكس ما هو حوله . لذلك ستجده على « درجة نفور » كبيرة مع كل ما حوله . ولذلك تجد أداءه من النوع « التصادمى » ... وكأنه يسير فى عكس اتجاه كل شئ !!

ويقع بينهما « ذو الشاكلة المتوازنة » ... والذى تجده على توافق معقول مع بعض مآ حوله وعلى درجة نفور عادية مع بعضها الآخر ... ولذلك فهو يحتفظ لنفسه بآزانه . ولعل هذا النمط من الناس هو أصحُّهم نفسياً ... إذ أن التوازن أفضل من التطرف فى النمطين الأول والثانى .

فالأول الذى هو وكل ما حوله يسيران فى اتجاه واحد ، لن تجد له ملامح شخصية مُحددة أو مقروءة ...! ... فهو شخص تائه فى الملامح العامة التى حوله وليست له ملامح خاصة ...!

والشخص الثانى ... الذى يسير - على طول الخط - فى الاتجاه العكسى مع كل ما حوله هو شخص متمرد ... رافض ... وقد يكون على حق ... وقد لا يكون ... وقد يكون فقط معه بعض الحق ...! ... ومثل هذا من السهل تحديد ملامح شخصيته ...! أما ذو الشاكلة المتوازنة فهو شخص عادى ... يُحسد على ما هو فيه ...!

النفس المتشكّلة ... والطفل ...!

... قد يسأل أحدنا ... عما هو بعد لحظة الميلاد ...

فأى طفل مولود ... إنما يكون مُنعدم الإدراك العاقل الناضج ... من منظور الإدراك والنضج الإنسانى ... فكيف لهذه النفس الناضجة التى مرت بما سبق أن ذكرناه ... من تشكُّل ... ومواقف غير عادية ... مثل موقفى ... « الشهادة » ... و « حمل الأمانة » كيف لهذه النفس أن تنزوى داخل هذا الطفل الرضيع ...؟!

ولماذا هى صامتة غير عاملة .. أو ناطقة ... أو مؤذية لأى شئ يُثبت وجودها داخل هذا الطفل أو حتى ... تلفت النظر .. بأى شكل ... إلى أنها بالفعل موجودة ...؟!

إن « النفس » من المُنتميات لعالم اللاماديات ... مثل « الروح » ... تماماً . وإن كنا لا نستطيع ... تحديد جوهر أى منهما ... فعلمُهما لله تعالى ... وإن كانت « روح » الطفل الصغير ... ممّا لا يدعُ مجالاً للشك ... هى موجودةٌ فيه ، وهو طفل ... وهو شاب

من نحن...؟!

... وهو ... كهل ... ولا نستطيع إمساكها أو تحديد مكان لوجودها مع الخصائص التشريحية للجسم البشري ... وحتى مع فقد أى إنسان لأحد أعضاء جسمه ... الروح ... مازالت موجودة ... ولم يَبْتَرِ جزءٌ منها ...! إذن فالروح ملازمة للإنسان كما رأينا ... وكذلك النفس ...

فالروح ... وإن كانت مُلازمة للإنسان لاستمرارية حياته ... فالنفس أيضاً ملازمة للإنسان لاستمرارية حقيقته . لأن النفس هى حقيقة صاحب الجسد والروح ... وهى مَعَالِمُهُ التى يمكنك أن تصفه بها ... من مختلف النواحي ... وكُتلة طموحاته وأهدافه وإرادته ... إلخ . ويدخول الروح والنفس لعالم الجسد ... حَكَمَهُما قانونُ الجسد ... كما خلقه الله تعالى . فالروح تتعامل مع كل أجزاء وأعضاء الجسم من البداية للنهاية .. وحتى وفاة الشخص . والنفس كذلك .. حَكَمَها قانون الجسد كما أراد الله تعالى له ولها .

فالجسد يبدأ ... وينمو ... ويكبر ... وَيَشْبُ ... وينضج ... ويشيخ ... ويهرم ... والنفس متزامنة معه ... مرحلة بمرحلة ... وكأنها إنسان لا مَادَى داخل كل منا كلما نُضِجَ الإنسان المادى .. صاحبته النفس أيضاً فى النضج ، أو فى استرجاع ذاكرة النُضج السابق والذى كانت عليه ...!

وعودة مرة أخرى ... لنقطة « النفس المتشكّلة الناضجة » ... والتى تحملُ كَمًّا معرفياً هائلاً - ممّا علمها الله تعالى - وكذلك ... دلالة نُضجها والمتمثلة فى بعض من تلك المواقف التى سبق الحديث عنها مثل موقفى « الشهادة » ... و « حمل الأمانة » ... فمثل هذه المواقف لا يكون أهلاً لها سوى الناضجين بكل المقاييس ... وذلك حقيقة ... حيث لا مجال فيها للأطفال مثلاً ...!

إذن وأنت فى مرحلة النضج النفسى هذه ... يمكنك أن تُدرك ... وتعقل كأفضل ما يكون الإدراك والعقل ... بدليل ما وُضِعَتْ فيه أمام الله من مواقف ذات قيمة عظيمة ... واعتدُّ بها الله . إذن وأنت فى مثل هذه المرحلة ... من النضج النفسى ، تكون هى حَدُّكَ الأقصى الذى يُمكن أن تصل إليه ... وقد بلغته ... قبل وجودك على الأرض ... ولكن ماذا بعد وجودك على الأرض ...؟! وبعد أن حَكَمَ قانون الجسد نفسك ...؟!

إن حُكَمَ قانون الجسد للنفس ... إنما يعُطيها فرصة النضوج من نقطة الصِفَر وكتدرُج تصَاعُدِيٍّ منطقيٍّ فى عالمنا الإنسانى - مروراً بالسنين - أو يُعطى للنضوج فرصته لاستعادة ذاكرته تدريجياً . وقد تصل بنفسك لأقصى مرحلة نُضج ... وقد لا تصل أثناء حياتك ...!

من نحن ... !؟

والمقصود بأقصى مرحلة نضج في حياتك الأرضية ... هي وصولك لنفس مرحلة نضجك النفسى ... قبل نزولك للأرض ... والتي كُنْتَ عليها ... وبوصولك لها تكون قد وصلت - والله تعالى أعلم - لأقصى ما يمكن أن تبلغه في مراحل نضجك النفسى ... والتي غالباً ... وعند مُعظم المعتدلين تجدها تتراوح حول سن الأربعين ... صعوداً أو هبوطاً عنها ... بقليل . ولربما أن هذا هو السبب - والله تعالى أعلم - لكون مُعظم الأنبياء الذين نعرفهم ... بدأوا رسالاتهم ... فى هذه السن ... تقريباً .

وأعتقد أن مَنْ تفضلَ الله تعالى عليه ... بهذه النعمة ... وهى وصوله لقيمة مُنحنى نضوجه النفسى ... تزامناً طبيعياً مع سنوات عمره ونضوجه السنّى ... أعتقده ... سيكون من أكثر الناس إعمالاً للمنطق والفكر ... والسعى للحقائق ... لأنه قد بلغ على الأرض ... نفس مستوى نضوجه النفسى ... الذى كان عليه ... وهو فى حضرة ربّه الله تعالى ...

ولكن ... بشروط ... !

اولاً .. أن تسعى ... لتذكُر ... ما كُنْتَ فيه قبل مجيئك للأرض ... !

وثانياً ... أن لا يتحالف جسدك ونفسك ... للأرضيات دون السماويات ... !

ولعله ارتباطٌ بما سبق ... من ناحية ... ، ومن ناحية أخرى لاستمرارية وجودك داخل لجنة الإمتحان ... على الأرض ... !

لعل ذلك من دواعى تأكل ذاكرتك بالنسيان ... فيما يتعلق بكل ما حدث قبل نزولك على الأرض ... وإلا لو تذكُرت كل شئ ... لانتهى اختبارك ... ولا داعى إذن من استمراريته ... لأنك لحظتها ستكون قد تحوّلت إلى مثل الملائكة العارفين ... والذين هم خارج لجان الإمتحان ... !

فعليك إذا بالسعى ... للتُنْضِج والتذكُر ... !

فمثلك ... مثل مَنْ استعد للامتحان فى منزله .. قراءةً ... وكتابةً ... واستذكّاراً ... ومُراجعةً ... ومع تغير الجو العام المحيط به من جو المنزل المُكيّف الهادئ ... إلى جو التوتّر المشحون بانفعالات مُسمّى « امتحان » تجد أن مثل هذا الشخص لربما فَقَدَ نصف ما فى خزينته ذاكرته إن لم يكن أكثر ... !

من نحن ... ١٢

ولعله ارتباط بما سبق ... من ناحية ... ، ومن ناحية أخرى لاستمرارية وجودك داخل لجنة الامتحان ... على الأرض ...! لعل ذلك من دواعي تأكل ذاكرتك بالنسيان ... فيما يتعلق بكل ما حدث قبل نزولك على الأرض ...

والا لو تذكرت كل شيء ... لانتهى اختبارك ... ولا داعي إذن من استمراريته ... لأنك لحظتها ستكون قد تحولت إلى مثل الملائكة العارفين ... والذين هم خارج لجان الامتحان ...! فعليك إذا بالسعى ... للنضج والتذكر ...!

فمثلك ... مثل من استعد للإمتحان في منزله ... قراءة ... وكتابة ... واستذكراً ... ومراجعة ... ومع تغير الجو العام المحيط به من جو المنزل المكيف الهادئ ... إلى جو التوتر المشحون بانفعالات مسمى « إمتحان » تجد أن مثل هذا الشخص لربما فقد نصف ما في خزينته ذاكرته إن لم يكن أكثر ...!

والفرق الزمني بين الموقفين ... قد يكون ساعات قليلة ...

فما بالك ... لو كان الفارق سنوات عديدة ويعيدة ... ولا يعلم عددها إلا الله تعالى ...!!

وما بالك باختلاف « مناخ المذاكرة والمراجعة أيام كُنْتَ نفساً في حضرة ربك » ... مع « مناخ الامتحان .. على الأرض » ...

أو لا ترى معنى ... أنه من المنطقي ... للعديد من الأسباب أن تنسى ...!

ولكن إن نسيت ما كُنْتَ فيه صوتاً وصورة ... فعليك أن تتذكر بالتدقيق النفسى ...!

نعم ... تذكر ... تدوَّق ...!

وتأمل نفسك ... وما حولك ... وما فوقك ... وما تحتك ... وستجد الإشارات التذكيرية الهائلة ... والتي تأخذك إلى ما يجب عليك تذكره ...!

الموت والنوم والإغماء

الموت هو حالة استرداد الله سبحانه وتعالى للنفس والروح معاً بدليل توقف الجسد تماماً عن العمل ... أما النوم أو الإغماء ، ولطالما أن الجسد حى ... بدليل ... أن كل العمليات العضوية الجسدية تتم ... تنفس ... هضم ... نبض ... الخ . إذن فالروح موجودة به . ولكن استغراق الإنسان في النوم أو الإغماء هي عملية غياب مؤقت للنفس ، والله تعالى أعلم . بدليل أنه في هذه المرحلة ... ليس هناك أهداف ... أو أداءات فكرية ... أو وعى ... أو إدراك ... أى أن النفس - تذكر مشال السيارة - تكون في مرحلة عدم القدرة على أداء أى فعل إيجابى ، لعدم وجود أدواتها ... الجسد ... والروح .

من نحن ... !؟

وفى ذلك يقول الله تعالى ...

... « الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها . فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى... » (الزمر : ٤٢)
 أى أنه سبحانه وتعالى يقبض أو يأخذ أنفس من يموتون ولطالما قد حان أجلهم .
 وكذلك فهو يقبض أو يأخذ أنفس الأحياء عند نومهم ... فتظل بمشيئته أنفس الأموات عنده ويرد للأحياء النائمين أنفسهم ولطالما لم يأت أجلهم بعد .

الإنسان (الكائن المتمرد) يجهل حقيقته !!

الإنسان ذلك الكائن العجيب الذى يحمل أطناناً من أسرار الله تعالى ، دائماً يبحث خارج نفسه ولا يبحث فيها . يسير بها ويجوب بها الأرض ، باحثاً فى كل شئ عن كل شئ إلا عن حقيقة وجوده وسببها . ولذلك نجد أن معظم الناس إنما يتحدثون عن أحدث ما ابتكره العقل ، وأفضل ما يمكن شراؤه وأفضل ما يمكن استهلاك الوقت فيه .. وأفضل سيارة ... وأفضل فستان وأفضل مصيف فى أجمل شاطئ ... وأفضل شريط ... وأفضل مُغَنٍّ ... وأفضل فريق ... وأفضل مدرسة ... وأفضل مطعم ... وأفضل وأفضل وأرخص وأعلى وأكبر وأصغر وأهدأ وأبعد وأقرب وأفقر وأغنى !....!

إن الإنسان بهذا الكيف من السلوك إنما يحيا لاهياً عابثاً حتى وإن كان ذا درجة جودة أخلاقية .. لأنه يحيا لنفسه ومن أجلها لاغياً صغره بل حقيقة ضالته إذا ما نُسِبَ للكون من حوله . وكأنما هو موجود من أجل ما هو فيه . وبحاول طيلة بقائه حياً أن يكون أعظم من أى شئ ... أكبر من أى شئ ... أغنى من كل الناس ... الخ . وهو لا يدري أنه بما يسعى له كههدف أو كغاية نهائية إنما ستجعله أصغر من أى شئ وأقل من أى شئ وأفقر الناس وإن مَلَكَ ما مَلَكَ !... !... ولكل هذا ولكل هذه ... لا تغيبُ عنكم الحقيقة وهى ... « إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طَوْلاً » (الاسراء ٣٧)

..... الإنسان هذا الكائن المذل من ربه ما أشقاه بنفسه !... وما أتعسه بها !...!!

.....

.....

● التأمل الرابع ●

— ■ لماذا خلقنا الله؟! ■ —

(سبحانه وتعالى)

لماذا خلقنا الله ؟

تبارك الله الخالق الذى « أعطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ » ، فأبدع وصَوَّر . وصاغ الكون بما فيه جمالاً وجوهرًا وتناسلاً لا مجال فيه لزيادة أو نقص . فتبارك الله أحسن الخالقين . خلق ما يُرى وما لا يرى ... ما تراه عيوننا وما لا تراه ... ونَصَّبَ الإنسان سيِّداً مُكْرَماً والكلُّ ... كُلُّ شَيْءٍ واحد ... هُم له ومن أجله . فمن هو هذا الإنسان حتى يُسَلِّطَهُ الله تعالى على كل ما صنعت يده ... ! هو الكائن المُدَلَّل فى الكون ، الذى له كل شَيْء ، والذى خَلَقَهُ بآرثه فى أحسن تقويم . وقال عنه وعن كل بن آدم ... « وَنَعَدَ كَرَّمْنَا بَنَى آدَمَ » .. (الإسراء : ٧٠)
نعم وبالهول التكريم ...

لقد جعل الله من الإنسان سيِّداً لكل شَيْءٍ مستفيداً من كل شَيْء ، مخدوماً من كل شَيْء ، لا يحتاج إلّا ويجد ما يحتاج !

... « أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ .. » (لقمان : ٢٠)

... « وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ ... » ...

..... (الجاثية : ١٣)

إن ذلك يعنى أن الله تعالى وَهَبَنَا منافع كُلِّ ما فى السماوات وما فى الأرض بلا مقابل وبلا أجر وبلا ثمن ... ! نعم فهو « الوَهَّاب » العطاء الغنى الكريم ذو الجلال والإكرام ذو المعارج الحنان المَنَّان ذو الجود والفضل العظيم ... إنه ربنا الله تعالى . خلقنا لكى يعطينا هبة بلا ثمن ... بل ملايين الهبات التى لا تُعَدُّ ولا تُحصى ... مجاناً ... !

.... « وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا ... » (النحل : ١٨)

لماذا إذن خَلَقْنَا الله تعالى ؟ بكل تأكيد لكى يُعطينا الكثير والكثير والكثير ... بلا مقابل ... ونحن نأخذ ونأخذ ونأخذ ... ولم نتوقف لحظة ... وهو لم يتوقف لحظة - وحاشاه - عن العطاء .

ولعل من أبسط قواعد الفضول أن نعرف اليد التى تُعطى بلا مُقابل . حسناً إنها يد الله تعالى ... ولعله - أيضاً - من بديهيات قانون الأدب أن نُعامل مَنْ يُعطينا - بلا مقابل - ما لا يُعَدُّ ولا يُحصى - بما يليق به ... ولعل أول بديهية فى قانون الأدب هى كلمة « شكراً » لمن يعطينى مجاناً وبإصرار ... !

وكلمة « شكراً » عندما يتبادلها عبد مع ربه لا بد وأن تكون بالأسلوب الذى يليق بجلال المشكور وبما يرتضيه هو لنفسه ، وهذا لا يتأتى إلّا بمعرفته . ولقد نظمت الأديان ذلك فيما يُسمى بالعبادات . إذن فعبادة العبد لربه هى كلمة « شكراً » مُصَاغَةً بما يرتضيه المشكور - الله تعالى - وبما هو أَهْلٌ لَّأن يُعامل به ، بعد معرفته .

لماذا خلقنا الله ؟

إذن ف العبادة هي " شكراً " مع معرفة الكريم الذى نشكره ، لأنك لن تكون منطقياً إذا شكرت مَنْ لا تعرف . إذن فعلينا أن نشكره سبحانه بمعرفة تصيغ الشكر لا ثقاً بعظمة وجلال المشكور . وفى هذا قال تعالى ... " وما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ .. " (الذاريات ٥٦) . فهى إذن المعرفة والشكر ... أو العبادة . فهو خلقنا لنعرفه ولنعرف كل ما حولنا وما أعطى لنا ، ولنعرف مكانتنا التى جعلنا عليها ، ولنعرف ... ولنعرف ... ولنعرف ... ولطالما عرفنا ... فقد وجب الشكر اللائق من الشاكر للمشكور ... فهو شكر العارف ... أو العبادة ... !

وفى الحديث القدسى ... يقول ربنا عز وجل ...

... " كُنْتُ كَنْزًا لَا أُعْرَفُ ... فَأُحْبِبُّ أَنْ أُعْرَفَ ... فَخَلَقْتُ خَلْقًا فَعَرَفْتُهُمْ بِي فَعَرَفُونِي " ...

ولو تأملت نص الحديث ... لعرفت الكثير والكثير ... !

ولربنا الله تعالى المثل الأعلى ...

فالكنز يستفيد منه الغير ولا يستفيد هو من الغير ... ولكى يستفيد الغير من الكنز فلا بد لهم من معرفته حتى يمكنهم أن ينعموا به ، ولكى يعرفوه وينعموا به ، فمن البديهي أن يكونوا موجودين ، ولكى يكونوا موجودين ... خلقهم الله تعالى وأوجدهم ... ولهذا خَلَقَهُمْ ... !

هل يُحِبُّنا الله تعالى ؟

أعتقد أنه لو جأملك أحد بهدية بسيطة أو ثمينة أو حتى بكلمة رقيقة فى موقف ما ... أعتقد أنك ستذكر صاحب المجاملة بالخير دائماً . وربما تظل مُتَحِينًا الفرصة له لكى تُعَبِّرَ عن مشاعرك تجاهه رداً لمجاملته السابقة . شخص آخر ربما يَتَرَبُّصُ ... نعم يتربص لهذا الذى جامله إمعاناً فى إكرامه بمجاملة أكبر تليق بالذى يؤدّى المجاملة أى تليق به هو شخصياً وكشكر أيضاً عما سبق .

نعم إنه اختلاف فى درجات الكرم والجودة الأخلاقية العامة والخاصة التى تحكم الناس وتتحكم فى نظرتهم وحكمهم على الأمور وتعاملهم مع المواقف . وربما لو حدثت المجاملة السابقة مع شخص ثالث لم تُحرَّك فيه ساكناً .

لماذا خلقنا الله ؟

بل لربما أن هذا الشخص يأخذ الهدية ويُقَلِّب فيها وَيَمُطُّ شفتيه لأنها لا تعجبه ولأنه كان يريد الأفضل ، لكنه يقبلها وعندما تحين فرصة ردها لربما يتعمد أن يُحضر هدية لا تزيد في قيمتها كثيراً إن لم تكن أقل ! .

شخص رابع ربما يقبل كل أنواع الهدايا من كل الناس في كل المواقف لكنه لا ينوى ردها لهم مجاملة في مواقف مماثلة ولا يعرف كيف يشكر ...

إنها أنماط النفوس ودرجات كرم ومستوى جودة أخلاقية وميول ونزعات وحوافز واتجاهات تحكم تعاملات الإنسان مع الإنسان ومع نفسه ولكن عندما يتعلق الأمر بابنك مثلاً ، إنك لن تبخل عليه أبداً . بل ربما إذا اقتضت الضرورة نزعته من فمك لأنه هو أولى ولن تشعر ما حبيت أنك مُحمَّل بأعباء ابنك مهما بلغتُ ومهما كانت مقدرتك . بل ستشعر بمنتهى السعادة لمجرد ابتسامة كست وجهه ... مُنتهى السعادة . نعم سَتُسَلِّطُ ابنك على ثمرتك ومجهودك بكل الرضا والحب وما هو المقابل ؟ لا شيء !! فقط تريد أن تراه في أفضل حالاته . وسيكفيك منه « شكراً » !!

هَبْ أن ابنك في أحد مراحل التعليم وأنت تتابعه طوال العام الدراسي ... كُتِبَ ... مُذْكَرات ... كراسات ... دروس خاصة ... مصروفات ... الخ . وكل ما تريد ... هو أن يكون ناجحاً بالشكل الذي يُرضيك . ببساطة شديدة وبعد تحميلك في سبيله كل ما تحملت سنراك تَعُدُّه ، أنه إن نجح في امتحان نهاية العام وبما يرضيك عنه ، ستكون له منك مكافأة ... كذا ... وكذا ... وكذا ... !! وماذا تنتظر من ابنك ؟ أعتقد لا شيء سوى النجاح في كل شيء وكلمة .. « شكراً » .

إن نمط الابن هذا يختلف كثيراً عن منطق المجاملات السابق ولكن في الحالتين - حالة الابن وحالة المجاملات - فالعنصر المشترك بينهما هو « واجب الشكر » . هذا وإن اختلفت درجة الثقة في علاقة المحبة التي تحكم المجاملات ولأنها محكومة بأنماط سلوكية عديدة أخرى . ولكن علاقة الأب بابنه نستطيع أن نجزم بلا نهائية درجة الثقة بها ، وبخصوص مشاعر المحبة التي تحرك الأب تجاه ابنه ... إذن فأنماط العطاء تختلف شكلاً ومضموناً باختلاف العاطي وقدرته وسبب العطاء وشخص متلقى العطية ونوع العلاقة بين العاطي والمتلقى .

ولعل العطاء في نمط الأب أعظم وأرقى من أن يكون عطاء مجاملة ، فهو عطاء واجب لماذا هو عطاء واجب ؟ لأنك تحب أن تعطي ابنك ... فأنت تحبه أكثر مما هو يحبك وأنت تعتقد أنك أحد المسؤولين عن وجوده في الحياة . إذن فعطاؤك واجب من منطلق المحبة والمسئولية . ولله تعالى المثل الأعلى ...

لماذا خلقنا الله ؟

فقد قال عز وجل .. « أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ »

(لقمان : ٢٠)

... « وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ »

(الجاثية : ١٣)

أنظر إلى عطاء الله المجاني ... « سَخَّرَ » ... أى وهب لنا ما فى السماوات وما فى الأرض مجاناً بلا مقابل ... وَقَالَ أَيْضاً ... « وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ » ...

(إبراهيم : ٣٤)

أى ما من احتياج إلا ولباه الله لعباده . وفى هذا يقول على ما أسبغ علينا من نعمة ..
« وَإِنْ كَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ... » (إبراهيم : ٣٤)

انظر إلى تلك العطايا والهبات المجانية والتي بدأت بإيجادنا وتهيئة الكون كاملاً لاستقبالنا بكل ما نحتاجه ونشتهيه ، وتنصيبنا سادة لكل شئ . فلم يجعل لشيء سلطاناً علينا ولكن جعل لنا سلطاناً على كل شئ . وانظر إلى عطيته فى نظام الأسرة . فقد جعل لكل إنسان حبة حب هائلة تمنحه كل شئ وترعاه بأعينها ... منحه الأب والأم ... بكل ما يحملانه تجاه ابنهما ، وبكل ما يضحيان به فى سبيله ، وإن وصل الأمر إلى حرمان نفسيهما من أجله . وأعطاهما - تعالى - من أجلك ومن أجل أن تكون .
« نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ » ... (الإسراء : ٣١) . فقط هما يفعلان ذلك من أجلك وبسبب حبك الذى يملأ قلوبهما . فما بالك بمن وهبهما الحب بقلبيهما ووهبهما ما يعطيانه لك . وما بالك بمن صنعك وصنعهما .

... إن أحبك أبواك فقد كان حبه لك أعظم ، الذى جعلهما يحبانك

... إن أعطاك أبواك فقد كان عطاؤه لك أكبر ، الذى أعطاهما ليعظيأك

... وإن جاهدك وسلطاك على ثمرة عرقهما وعمرهما عن طيب خاطر ، فقد سلطك على ما سلطاك عليه وعلى كل صنعة يديه ، وكان رضاؤه بعطائه أعظم

... وإن كانت غيرة أبويك عليك حُباً واحتواءً ، فقد كانت غيرته وكان احتواؤه لك ولهما أعظم .

... إن كان قد أحب من أنجب وولد ، فقد أحب من خلق ، وكان حبه لخلقه أعظم .

... « أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ .. » (لقمان : ١٤)

● التأمل الخامس ●

—■ ما احتياج الله تعالى إلينا؟! —■

ما احتياج الله تعالى إلينا ؟

تنزّه وتعالى ربنا الله عن النقص والإحتياج ، فكل شئ واحد قائم به محتاج إليه .
منه وإليه كل شئ واحد ، الكل يتطلع إليه ، الكل إليه فقير .

فنحن الذين نحتاج الكنز !!

لا نزيده ولا ننقصه شيئاً نحن وما لدينا وما نريد وما نفعل . فلو أن كل خلقه اجتمعوا
وسألوه وأعطى كلاً مسأله ما نقص ملكه شيئاً . ولو أن جميعهم كانوا على ألقى قلب
عامل الله وعرفه ، ما زادوه شيئاً . ولو أن أولهم لآخرهم عصوه وكانوا كأفجر قلب عصى الله
وأنكره ، ما أنقصوه شيئاً .

... ” واعلموا أن الله غنى حميد .. “ (البقرة : ٢٦٧)

... ” وربك الغنى ذو الرحمة .. “ (الأنعام : ١٣٣)

... ” لله ما فى السماوات والأرض ، إن الله هو الغنى الحميد .. “ . (لقمان : ٢٦)

... ” يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله ، والله هو الغنى الحميد .. “ .

..... (فاطر : ١٥)

... ” إن تكفروا أنتم ومن فى الأرض جميعاً ، فإن الله لغنى حميد .. “ ...

..... (إبراهيم : ٨)

... ” إن تكفروا فإن الله غنى عنكم .. “ (الزمر : ٧)

... ” فكفروا وتولوا واستغنى الله ، والله غنى حميد .. “ (التغابن : ٦)

... ” قل ما يعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم .. “ (الفرقان : ٧٧)

أى ماذا يفعل بكم الله !! لولا أنكم الذين تلجأون إليه وتستغيثون به وترجون
رحماته .

من يحتاج من .. ؟! أهو الذى يحتاج عباده ؟! أم نحن الذين نحتاجه ، وبدونه فالكل
محرومون ... وسبحان ربك رب العزة عما يصفون ...

وجلّ وعلا القائل سبحانه ... ” ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله
هو الرزاق ذو القوة المتين .. “ (الذاريات : ٥٧ ، ٥٨)

تساؤل منطقي ١٠٠

قال ربنا تعالى ... « أَمْ مَنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ » (الملك : ٢١)

... « قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ ... » (الملك : ٣٠)

أى من سيرزقكم لو منع الله رزقه عنكم ... ؟!

أو لو اختفى الماء فى الأرض ومنعه عنكم فمن أين ستأتون بالماء ... ؟!

ليُجِبْ إذن المخلوق المدلل المتمرد ... الإنسان ... !

الله رب

لقد تجرأ البعض على ربهم الله تعالى حين وصفوه بأنه محتاج لعباده وحاشاه . لقد قالوا أنه « لا ربَّ بلا عبد » ... ولطالما أن الله تعالى قد أراد لربوبيته الظهور خلق عباده ليكون هناك ظهور وإعمال لتلك الربوبية . و سبحان ربنا الله عما يصفون . إن معنى كلمة « ربَّ » هى « السيد و/ أو المالك » .

وعلى مستوانا البشرى هناك « أرباب » عديدة . فهناك رب العمل ورب الأسرة ... الخ . فلكى تكون أنت رب أسرة مثلاً عليك أن تملك أسرة و بيتاً وأثاثاً إلخ ...

... ورب العمل عليه أن يملك المكان والأثاث ويوجد معاونيه الخ . إذن فهناك قيود على ربوبيتك كإنسان وهى إحتياجك أصلاً لكافة المفردات والبنود التى تتمكن بعد توافرها من ممارسة دور « ربَّ » . ولكن « ربوبية » الله تعالى ربوبية غير مُقيَّدة باحتياجه لوجود ممتلكات وممالك لكى يكون سيداً مالِكاً وبالتالى رباً .

فإذا نظرنا للربوبية على أنها السيادة والتملك ، فربنا الله تعالى هو السيد الأعظم قبل أن يوجد العبيد والسادة (جمع سيد) . وهو المالك الأوحد قبل أن يتملك السادة . فهو مالك كل مالك ومملوك . فهو الذى - وقبل أن يخلق أحداً أو شيئاً - يمكنه الإيجاد إذن فهو مالك بمطلق قدرته ولا يقال له بعد أن تخلق ستكون مالِكاً لما خلقته ... لا ... !!

ما احتياج الله تعالى إلينا ؟!

ولطالما هو السيد الأعظم الذى يسود كل شئ ويمكنه فعل وإيجاد أى شئ فى أى وقت
يشاء إذن فهو السيد الحقيقى قبل وجود أى موجود . فهو سبحانه غير منتظر الملكية
والسيادة على ما يخلق فلذلك خلق ، وأصبح مالكاً وسيداً وبالتالى « رباً » بعد أن خلق .
لا ... فهو السيد الأعظم والمالك الأوحـد قبل أن يخلق ويعد أن خلق إذن فهو
« الرب » قبل أن يخلق وبعد أن خلق .

وليعلم المخلوق المدلل المتمرد أنه لم يُضِفْ لربنا الله تعالى شيئاً .

وسبحان ربنا وتعالى عما يصفون .

.....

● التأمل السادس ●

— ■ عِلْمُ اللَّهِ وَمَشِيئَتُهُ .. ■ —

علم الله ومشيئته ...!

علم الله

هو المعرفة الأزلية الأبدية الإلهية الكاملة ، والتي تُخصى كل شئ وتحيط به باطناً وظاهراً . وعلم الله سبحانه وتعالى ، هو معرفة سابقة تجتاز العصور والزمان والمكان ، ولا يعجزها شئ فى الأرض ولا فى السماء . ولا تحدّها الحدود ولا تقيدها القيود ، ولا يعترّيها الزلل أو السهو أو النسيان .

علم الله سبحانه وتعالى هو كتاب محيط مُحصى جامع يبدأ من « اللا ... متى ... الأزلية » إلى « ... اللا ... متى ... الأبدية » وهو تعالى « الواجد » ... ومتى أراد ... وجد ...

... « .. يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ .. »

« الخبء » أى الخفايا والمخبوء (النمل : ٢٥)

... « هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ .. » (الحشر : ٢٢)

« عالم الغيب والشهادة » ... عالم الغيب أى يعلم كل ما يغيب عن كل مخلوقاته وهو بالنسبة لهم مجهول . وعالم الشهادة أى أنه المحيط علماً بحقيقة ما يعلمه ويشاهده عباده ، فهُمْ لم يحيطوا ولن يحيطوا بخفايا ما يشاهدون !!

... « رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِكُمْ ... » (الإسراء : ٢٥)

... « أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ .. » (العنكبوت : ١٠)

... « وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ .. » (البقرة : ٣٣)

« وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ .. » (يونس : ٦١)

... « وما يَعْزُبُ » أى لا يغيب ...

إذن فَعَلِمَ الله تعالى هو علم الحصر والإحاطة اللاتقين برنا الله المحيط العليم الخبير عالم الغيب والشهادة . وعَلِمَ الله ليس علم قهر وإكراه لعباده . فكونه تعالى يعلم من الآن عبده الصالح ويراه فى الجنة فى علمه ، هذا ليس بميزة يتمتّع بها هذا العبد الصالح . لأن علم الله فقط يعلم لكنه غير مُوجّه لهذا العبد أو مُسَيّر له فى الصلاح أو ناهيه عن سوء . وبالمثل يرى الله تعالى من الآن آخرين فى النار .

علم الله ومشيتته ...!

... لم يُكرِّهم علمه على سلوك السوء . فهو علم حصر وإحاطة وليس علم تسيير وقهر وإكراه . أو هو كعلم يَحْصِي ويحيط ولا يتدخل فيما نوى العبد . وإن كان مُسَجَّلًا ما نواه العبد قبل أن ينويه .

فإرادة العبد إذن إرادة حرة ، ومشيتته تخصه . وإن كانت كل نوابها وظواهرها وبواطنها مُسَجَّلَةٌ في علم الله قبل أن يأتي هذا العبد أصلاً للحياة .

مشيئة الله الفعّال

لقد أراد الله سبحانه وتعالى وكل ما أراده كان ، وكل ما يريدُه يكون ، إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كُنْ فيكون ... إنها مشيئة الله تعالى ، إذا أراد شيئاً ... أى شيء حَكَمَتَهُ الكاف والنون ، وما أن يقول كُنْ حتى يكون ... إنها المشيئة النافذة السارية متى وكيف وأين أراد لها سبحانه أن تسرى ... فالكون المخلوق بمشيئته - ما نرى وما لا نرى ما نفهم وما لا نفهم - إنما هو جَمْعٌ من المُكوّنات والمفردات ، والتي كُلُّها - جوهرياً - خادم لتلك المشيئة .

فإجمالى مفردات الكون التى نراها ولا نراها كلٌ منها أداة لتلك المشيئة . وإن استوعبناها من منظورنا فهى سبب تسبّب فى ... أو أدّى إلى ... ما نفهم وما لانفهم ما نرى وما لا نرى . ومن أشكال تكريم الله تعالى للإنسان أن جعل له مشيئة . فالإنسان يشاء كذا فى وقت كذا بسبب كذا ... وبأسلوب كذا ... لأنه يريد ذلك . إذن فللإنسان مشيئته التى منحه الله تعالى ... والإنسان حر فى استخدام تلك المشيئة . ولكن حقيقة تلك المشيئة أنها مُقيّدة بالأسباب .

فلو أنه شاء - أى الإنسان - أن يفعل شيئاً ... أن يصل مثلاً الساعة الثامنة والنصف صباحاً إلى مقر عمله . فما هى مُكوّنات أو تفاصيل قرار تلك المشيئة ؟ .

أولاً: نيته فى أن ينام مبكراً حتى يستيقظ مبكراً .

ثانياً: محاولته النوم مبكراً .

ثالثاً: خلوده للنوم فعلاً .

رابعاً: إستيقاظه فى الصباح .

خامساً: تناوله إفطاره .

سادساً: ارتداؤه ملابسه .

سابعاً: نزوله من منزله .

علم الله ومشيتته ...!

ثامناً : تَوَجَّهه لسيارته أو لوسيلة مواصلات .

تاسعاً : إستعداده بسيارته أو انتظاره لوسيلة المواصلات .

عاشرًا : تحركه بسيارته أو بوسيلة المواصلات .

حادى عشر : إستهلاكه للوقت بالطريق وحتى مقر عمله .

أنظر إنه تحليل بسيط لقرار بسيط وبين كل نقطة وأخرى العديد من الخطوات التى لم تُذكر ، وكان من الممكن أن يكون التحليل أكثر تعقيداً لو أننا مثلاً أضفنا أنه سيقوم بتوصيل زوجته لعملها ، وأولاده لمدارسهم إلخ وكذلك إذا ذكرنا كل الخطوات والتفصيلات الممكنة ... !

إن مثل هذا القرار البسيط الذى تُمارس العديد من نوعيته فى حياتنا اليومية مراراً وتكراراً ، إنما ينطوى على مشيئة ، هى مشيئة صاحب القرار . وراقب كلاً من المكونات السابقة لتلك المشيئة .

... إن أى خلل فى أى مُكوّن من المشيئة ، إنما يطيح بالقرار بِرُمْتِهِ ، ويُعطّل تلك المشيئة . فلو أنه لم ينم مبكراً فمن الممكن أن لا يستيقظ مبكراً . أو لو كان الطريق مزدحماً لما تمكّن من الوصول فى موعده ... إلخ .

إذن كيف يكون الإنسان صاحب مشيئة ، وتأتى من الأسباب ما تُعطّلها وتطيح بالقرار بِرُمْتِهِ . وبالتالي يسير هذا الشخص يَجُرُّ وراءه أذيال مشيئته المُعطّلة . كيف يكون الإنسان صاحب مشيئة ولا تُنفذ تلك المشيئة كما أراد لها صاحبها ؟!

بالتأكيد أن هذا الإنسان الذى نتحدث عنه ليس هو المُفردة الإنسانية الوحيدة على الأرض . ولكن هناك المليارات من المفردات الإنسانية يفترشون الكرة الأرضية .

بالتالى لو أن هناك - مثلاً - مليار إنسان لكل منهم مشيئته ، ومثلاً يريد أحدهم أن يكون غنياً ويريد ثانيهم أن يكون مشهوراً ويريد ثالث أن يقتل جاره ، ويريد رابع أن يهاجر ، ويريد خامس أن ينجح فى اختبارات جامعته ، ويريد السادس أن يبيع كتاباً ، ويريد السابع أن يُطلق زوجته ، ويريد الثامن أن يكتشف علاجاً للإيدز ، ويريد التاسع أن يسهر فى فندق فاخر ، ويريد العاشر أن يبنى بيتاً ، ... إلخ .

أنظر لكل مشيئة على حدة ، لن نجد أن إحداها تتم دون التأثير أو التأثر فى الآخرين

علم الله ومشيتته ...!

أو بهم . وليس فقط الآخرون من الجنس الإنسانى ولكن الأشياء أيضاً لها علاقة بما نتحدث عنه .

« ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض .. » (البقرة : ٢٥١)

فلو ترك الله تعالى الزمام كاملاً لعباده لفسدت الأرض ، لو حقق كل منهم مجموعة القرارات التى أصدرتها مشيئته بصرف النظر عن كل شىء .

... ما معنى ذلك ؟!

... إن ذلك يعنى أن الله تعالى يباشر سلطانه فى ملكه كربٍ إله ... يرى الكل ، ويسمع الكل ، ويجيب الكل فى آن واحد . ولا يشغله شىء عن شىء ولا صوت عن صوت ولا نداء عن نداء ولا إجابة عن إجابة .

إذن فمشيئة الله الحكيم المحيط تُنفَّذُ لك مانويته أنت ولكن بالتنسيق مع الكون كله . لأنك لا ترى ما يراه هو سبحانه . ولا تعلم ما يعلمه هو ولا تحيط بما يحيط به هو . إذن فمشيئة ربنا الله فوق مشيئتك . وأساس عدله تعالى ، أن تُنفَّذَ للكل مشيئتهم طبقاً لما نوه فعلاً وحسب شاكلتهم ... وبما ينفَعُك ولا يضرُك ولا يتعارض مع قرارات إلهية قد سبقت وصدرت ، ليقضى الله أمراً كان مفعولاً .

مثلاً نجد أنك كنت متوجهاً لسفر ، وذهبت إلى موقف السيارات الأجرة . وتريد أن تركب بسرعة السيارة التى ستتحرك ، ولكنك تصطدم بأن العدد كامل . وتظل ترقب الموقف متضايقاً ، لعل أحد الركاب يغير قراره ويترك السيارة ، فتجربى أنت لتحتل مكانه .

وتظل هكذا ترقب الموقف ، حتى تتحرك السيارة وأنت ناقد على السيارة ومن بها . وتضطر أسفاً لانتظار السيارة التى تليها ، وتظل قابلاً بها حتى يكتمل العدد وتنطلق بك وبهم .

وبافتراض أنك تحركت بك وبهم السيارة ، فمن الممكن أن تُفاجأ بالسيارة التى كنت طموحاً وشغوفاً لركوبها ، مقلوبة إثر حادث بالطريق وكل ركابها أموات ... !

هنا عطلت مشيئة الله تعالى مشيئتك لأن عمرك لم ينته بعد . وهذا هو المقصود بالقرارات الإلهية التى تكون قد صدرت ولا راد لها . وليقضى الله أمراً كان مفعولاً .

فما بال السارق الذى أضمر فى نيته اقتحام مكانٍ ما لسرقته بأسلوب معين وفى توقيت معين .

علم الله ومشيتته ...!

الأمر هنا له عدة أطراف ، أولاً : السارق . ثانياً : مَنْ سُيْسَرَقَ . ثالثاً : ما سُيْسَرَقَ .
... المشيئة الموجبة هنا فقط للسارق أما الذي سُيْسَرَقَ منزله فذو مشيئة سلبية في هذا
الموقف لأنه ليس طرفاً في تخطيط نية السرقة . وكذلك الشيء المسروق أو الذي أُضْمِرَتْ نية
سرقته ليست له مشيئة .

فالسارق هنا إنسان له شاكلة معينة ، واتجهت مشيئته لتحقيق شيء سيء ...
« سرقة » . لاحظ أن مشيئة الله تعالى لوطلت تعطل مشيئة السرقة عند هذا الشخص طوال
حياته ، إذن لصنعه الله تعالى - بالإكراه - من الأخيار رغماً عن هذا الشخص نفسه ... !
ولكن ستسمح له مشيئة الله بأن يكون سارقاً لصاً كما أراد هو لنفسه وأرادت
شاكلته ، ولكن بما لا يُخلُ بالتنسيق العام للكون .. ! فالمسروق قد يريد الله أن يعطيه درساً
بسيطاً بسرقة شيء تافه من منزله حتى يكون أكثر حرصاً مع الأشياء الأهم . إن مشيئة ربنا
الله تعالى ، هي ما يحفظ للكون انضباطه وتناغمه ، انضباطاً وتناغمًا يليقان بملك الملوك
العظيم . وفي هذا يقول سبحانه ... « وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين .. »
..... (التكويد : ٢٩)

إنك إن أردت الحقيقة ، وتحليل بسيط ، لوجدت أن الله سبحانه وتعالى قائمٌ علينا
لكل صغيرة وكبيرة . ويفعل لنا كل شيء ... !

لو علمت الحقيقة لاستحييت من نفسك أمامه . إنه هو الذي يطعمك ويسقيك وهو
الذي يُعلِّمُك ويقود معك سيارتك ويربِّي معك أولادك !! إنه هو الذي يضع في فمك لقمة
الطعام ويعطيك شربة الماء . فبمشيئته كان أمامك الطعام ... وبمشيئته رفعت يدك به
إلى فمك ... وبمشيئته تناوله فمك وبمشيئته تستقبله معدتك وتهضمه أمعاؤك . وبمشيئته
كان كوب الماء أمامك ، وبمشيئته رفعته وشربت وبمشيئته شبعت وارتويت . وإن شاء
ماشبع ولا ارتويت مهما أكلت أو شربت .

وإن شاء لاكتنزت وما إغتنيت ... وإن شاء لذهبت وأتيت وكأنتك ما ذهبت ... !
ولفعلت ما فعلت وكأنتك ما فعلت ... لأنتك ما شكرت وما قنعت ... ولا مشيئته
قدّمت ... !

... « وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين » ...

نعم ... هو ... ربنا الله الفعال لكل شيء بمشيئته كل شيء !
وراقب أي فرد في عائلتك أثناء نومه ستجده يتنفس ، وقلبه يعمل وكأنه في حالة
يقظة ... لا فرق .

فبرحمته ومشيتته جعل أهم الوظائف التى تضمن لنا حياتنا فى أجسامنا خاضعة لرقابته وتحكمه هو وليس لتحكمنا نحن .

فلو أن الإنسان كان هو المسيطر إرادياً بمشيته على كل أجهزة جسمه . فماذا كان سيفعل أثناء نومه مع نبض القلب وعملية التنفس وعملية الهضم وأداء المخ ؟!!!!

بل وأثناء اليقظة ، كيف كان حالنا لو أننا المسئولون عن ضبط وإدارة كل أجهزة الجسم . أعتقد أننا كنا سنتفرغ تماماً للعمل « كعسكري مرور » لتنظيم الأدوار ولتتابعها بين أجهزة الجسم المختلفة ... !

ولو كان الإنسان هو المسئول عن إدارة تلك الأجهزة لما ذاق للنوم طعماً ، خوفاً من توقّف الأجهزة عن العمل ... !

فنحن نمارس حياتنا وهو تعالى مُتَوَلَّى ذلك عنا ، ونغفل وننام وهو الحى القيوم ، الذى لا تأخذه سنة ولا نوم .

... قال لنا .. اتركوا هذا لى .. وناموا أنتم واستريحوا ...! نعم .. إنها مشيته تعالى ... هى خاتم التصديق الإلهى على كل فعل فى أى وقت أو مكان من أى كائن كان هذا بخصوص فعل الكائنات

أما بخصوص الأفعال الإلهية فَمَرَدُّهَا إِلَى إرادة الله تعالى ، وظهورها هو رهن مشيته . ووفق إرادته .

أحمدك يارب أننى عبدك وأنت ربى وإلهى ... وأؤمن أنك أنت الفعل لما تريد .

.....

● التأمل السابع ●

مسلم ... مسيحي ... رجل ...
امراة ... غنى ... فقير ...!!

مُسْلِم ... مَسِيحِي ... رَجُل ... امْرَأَة ... غَنِي ... فَقِير ...

أنا رجل وهى امرأة ، أنا مسلم وهو مسيحي ، أنا فقير وهو غنى ، أنا مريض وهو صحيح ، أنا ابن فلان وهو ابن فلان ... أَلْف لماذا ولماذا ولماذا ؟ !!

لقد سبق وأن تعرّضنا إلى أننا لسنا مجرد ظواهر مؤقتة طرأت بميلادنا . بل أننا عبارة عن « نفوس » أو « ذوات » (جمع ذات) أو حقائق كانت من الأزل فى علم ربنا الله تعالى . ثم مرّت هذه النفوس بمرحلة خَلَقَها العادل المُساوِي بينها فى كل شىء . وتحولت بذلك إلى حقائق فى الأزل . ثم علّمها الله تعالى كل شىء . وبالتالى تشكّلت تلك النفوس اختيارياً وبمحض إرادتها الحرة .

ثم بخلق آدم عليه السلام أصبح الجميع مُنتمياً إلى عالم الذرّية الذى نعيشه الآن ، وما يحمله هذا العالم - عالم الذرّية - من أنساب وألقاب وزمان ومكان للتواجد من خلال الميلاد المتعارف عليه لأبّ وأم . وبما يتناسب مع التشكّل الحر الذى سلكته تلك النفوس سابقاً ، وبعد أن أصبح لكل نفس شاكلتها .

وطبقاً لقواعد العدل الإلهى - وكما قلنا - فإن تشكّل تلك النفوس إنما كان تشكّلاً حرّاً لا يشوبه القهر أو الضغط أو الإكراه ، وحاشا لله .

وهذا التشكّل لا يتم إلا فى ضوء « ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها » (الشمس : ٧) . أى فى ضوء تعريف الله تعالى لتلك النفوس بكل المعانى والمُمكّنات التى تساعدها على التشكّل التام . وبما يليق بحكمة وعدل ربنا الله تعالى . فلكل منهم أن يختار كُل ما يُضْمَن به تمام تشكّله ... وبعد هذا التشكّل الحر ، يهب الله تعالى لكل نفس وجودها بما هى أهله وبما تستحقّه ، مكاناً ، وزماناً ، ونوعاً ، وديانة ، ونسباً ... إلخ ، من خلال الميلاد لأبّ وأم .

كل ذلك من خلال ما تشكّلت عليه هذه النفس ، واختارته ، ومالت إليه ، وتمنّته ، ورغبت فيه ، وتعلّقت به ... إلخ .

وبالتالى ولطالما أن علم الله سبحانه وتعالى هو العلم المحصى المحيط بالجامع ، فهو أعلم بتلك النفوس وشاكلتها . ومنطق وهابيّته وعدله المطلق وحكمته ورزاقيّته ، وهَبَ الوجود العادل تماماً لكل نفس ، طبقاً لما اختارته ومالت إليه ، وبما يناسبها . وبما يرتبط بكمال إتمام عمارة الأرض بالتواجد الإنسانى المنضبط ، وطبقاً لمشيئة الله تعالى لتلك النفوس ، وللزمان والمكان اللذين سيشهدان ميلاد تلك النفوس .

مُسْلِم ... مَسِيحِي ... رَجُل ... امْرَأَة ... غَنِي ... فَقِير ...!

إِذْنُ فَتَفْسُك - بَعْدَ عَرَضِ كُلِّ الْمَعَانِي وَالْمُمَكِّنَاتِ عَلَيْهَا - هِيَ الَّتِي مَالَتْ لِأَنْ تَكُونَ رَجُلًا ، وَهِيَ رَغِبَتْ أَنْ تَكُونَ امْرَأَةً ، وَهُوَ مَالٌ لِلْإِسْلَامِ ، وَهِيَ مَالَتْ لِلْمَسِيحِيَّةِ وَآخِرُ مَالٍ لِلْإِلْهَادِ ... لَمْ يَفْرَضْ عَلَيْكَ اللَّهُ شَيْئًا . فَأَنْتَ مُوجُودٌ فِيمَا تَمَنَّيْتَ أَنْ تَكُونَ فِيهِ . وَلَكِنْ إِنْضِبَاطًا وَارْتِبَاطًا بِحِكْمَةِ وَمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى .

إِذْ كَيْفَ يَفْرَضُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى إِنْسَانٍ مَا ... الْكَفَرُ مِثْلًا - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - وَيَأْتِي فِي النِّهَايَةِ لِيَحَاسِبَهُ عَلَيْهِ ؟! أَيْ عَدْلُ هَذَا وَأَيُّ مَنْطِقٍ ؟! حَاشَا لِلَّهِ ...

وَقَدْ يَتَبَادَرُ لِلذَّهْنِ تَسَاوُلٌ ! وَهُوَ ... بِافْتِرَاضِ أَنْ أَحَدَ الْأَشْخَاصِ يَعْتَنِقُ دِينًا مَعِينًا (كَأَسْرَتِهِ) ، وَفِي لَحْظَةٍ مَعِينَةٍ فِي حَيَاتِهِ قَرَّرَ تَغْيِيرَ دِيَانَتِهِ ... فَمَا مَعْنَى ذَلِكَ ؟ وَمَا ارْتِبَاطُهُ بِمَا سَبَقَ قَوْلُهُ ؟!

بِافْتِرَاضِ أَنْ هَذَا الشَّخْصَ يَعْتَنِقُ الدِّينَ (أ) وَبَعْدَ تَغْيِيرِ دِيَانَتِهِ أَصْبَحَ مَعْتَنِقًا لِلدِّينِ (ب) بِبَسَاطَةٍ شَدِيدَةٍ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْجَدَهُ مُمْتَنِمًا لِلدِّيَانَةِ (أ) كَمَا تَشَكَّلَتْ نَفْسُ هَذَا الشَّخْصِ وَمَالَتْ . وَكَوْنُهُ قَدْ تَحَوَّلَ لِلدِّينِ (ب) ، لَمْ يَفْرَضْ عَلَيْهِ اللَّهُ ذَلِكَ . وَلَتَعْرِفِ أَنْتَ حَقِيقَةَ الْمَوْقِفِ ، اِدْرَسِ الدِّينَ (أ) وَالدِّينَ (ب) .

وَلَتَنْتَظِرْ ... هَلْ تَحَوَّلَ هَذَا الشَّخْصُ مِنْ حَقِّ لِبَاطِلٍ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - أَمْ مِنْ بَاطِلٍ لِحَقٍّ ؟! وَفِي كِلْتَا الْحَالَتَيْنِ لَمْ يَفْرَضْ عَلَيْهِ اللَّهُ شَيْئًا ، فَلَا هُوَ تَعَالَى فَرَضَ عَلَيْهِ الدِّينَ (أ) وَلَا فَرَضَ عَلَيْهِ الدِّينَ (ب) ، وَإِنْ كَانَ عِلْمُهُ مَسْبِقًا يَعْلَمُ بِتَقْلِبِهِ بَيْنَ (أ) ، (ب) . وَلَكِنْ خَارِجُ مَنْطِقِ الْفَرَضِ أَوْ الْإِكْرَاهِ ، يُمْكِنُ النَّظَرُ لِلْمَوْضُوعِ مِنْ مَنْظُورٍ آخَرَ . فَلَوْ أَنَّ هَذَا الشَّخْصَ بِاتِّجَاهِهِ مِنْ حَقِّ لِبَاطِلٍ وَبِالرَّغْمِ مِنْ كَوْنِهِ صَاحِبَ الْقَرَارِ الْوَحِيدِ إِلَّا أَنْ رَحِمَهُ اللَّهُ لَنْ تَتْرَكَهُ ، وَبِمَعْنَى أَنَّهَا سَتَنْظِلُ - قَبْلَ اتِّخَاذِهِ لِقَرَارِهِ - تَمَدُّهُ وَتَرْشُدُهُ حَتَّى لَا يَضِلَّ ، وَلَكِنْ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَكْرَهُ عِبَادَهُ عَلَى شَيْءٍ ، وَلَطَالَمَا أَنَّ صَاحِبَ النِّيَّةِ هُوَ صَاحِبُ مَشِيئَةٍ ، فَلَعَبْدُهُ إِذْنُ مَا نَوَى وَمَا قَرَّرَ ، وَلِلْعَبْدِ - فِي النِّهَايَةِ - مَوْعِدٌ مَعَ رَبِّهِ يَوْمَ الْحِسَابِ .

وَلَوْ أَنَّ الْوَضْعَ مَعَكُوسٌ ، وَأَنَّ الشَّخْصَ يَتَحَوَّلُ مِنْ بَاطِلٍ إِلَى حَقٍّ ، ثِقَ أَنَّ الْمَرْجِعَ الْأَسَاسِيَّ لِهَذَا التَّحَوُّلِ هُوَ فَيُوضَعُ رَحِمَاتُ رَبِّنَا اللَّهُ تَعَالَى . كَيْفَ ؟!

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَكْرَهُنَا عَلَى أَفْعَالِنَا وَلَا إِيمَانِنَا ، وَلَكِنْ ... الضَّالُّ هُوَ عَبْدٌ لِرَبِّهِ كَالْبَارِ أَيْضًا . وَهُوَ يَحِبُّ هَذَا وَذَلِكَ . وَكُنْ عَلَى ثِقَةٍ أَنَّ كُلَّ الضَّالِّينَ وَالَّذِينَ يَعْرِفُ اللَّهُ بَعْلَمَهُ الْمَحِيطُ أَنَّ بِنَفْسِهِمْ بَارَقَةَ أَمَلٍ فِي هُدًى ، يَظِلُّ يَطَارِدُهُمْ بِرَحِمَاتِهِ وَآيَاتِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَزَمَانٍ . فَهَمَّ عِبَادَهُ وَهُوَ الرُّؤُوفُ الرَّحِيمُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ . وَلَكِنْ ... لَا إِكْرَاهَ ، بَلْ مَجْرَدُ إِرْشَادٍ مُحِبَّةٍ وَالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ .

... « وَتَوَعَّلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ » (الْأَنْفَالُ : مِنْ ٢٣)

مُسْلِم ... مَسِيحِي ... رَجُل ... امْرَأَة ... غَنِي ... فَقِير ... !

ومن الممكن أن يتساءل شخص ، ألم يكن علم الله تعالى محيطاً بتقلبات هذا الشخص قبل نزوله للأرض ؟ نعم ، ولكنه أخذ من الله تعالى هبة الوجود التي تناسب ميوله . ثم بعد نزوله ... تراءى له ما تراءى . وهذا لا يتعارض مع علم الله المسبق بهذا الثقل الذي سيصاحب هذا الشخص ويعتريه ، ولأنه تعالى أعطاه هبة الوجود التي تناسب تشكله ، وله أولاً وأخيراً ما يريد ، فهو مُخَيَّرٌ في أفعاله وليس مُسَيَّرًا . وبالمثل الرجل بعملية جراحية يتحول لامرأة أو العكس . كُلُّ قَدٍ أَخَذَ مِنَ اللَّهِ تعالى هبة الوجود العادلة والمناسبة مع تشكُّله ، وبعدها ... فله ما يرى . وعلم الله يحصى كل هذا ، ولكن علمه غير مُكْرَهٍ ، فعلمه تعالى - وحاشاه - غير مُقَيَّدٍ لمطلق عدله .

هو غنى ... وهى فقيرة ... هو مريض ... والآخر صحيح ... هى جميلة ... الأخرى أكثر جمالاً ... الخ .

لعله ارتباط بمقاييس الرزاقية الربانية وتطبيق لمطلق عدل ربنا الله تعالى ... يمكننا القول أنك وإن كنت فقيراً وغيرك غنى ، وغيرك صحيح وأنت مريض ... فإن رزاقية الله وعدله مازالا معك ... !

فلماذا تحسبها أنت من منطق حياتك الآن فقط . ولكن احسب عطاء الله لك فى الدنيا مجموعاً - إن شاء الله - على عطائه لك أيضاً فى الآخرة . ولا بد وأن تجد أن معادلة العدل الإلهي منضبطة انضباطاً مطلقاً . ثم من أدراك أنك لو كنت غنيا لما أفسدت فى الأرض . وتكون قد خسرت دنياك وأخراك . ومن أدراك أن هذا الغنى ليس فى ابتلاء واختبار صعب ؟ ... **ف العطاء ابتلاء** ... وعلى الأقل أنت لم يكن لديك من الأموال ما تُسأل عنها ، وفيما أنفقتها ؟ ومن صاحب الحق فيها الذى حرّمته ؟ وكل وزر اقترفته يداك حتى جمعتها ... ! وهذا من رحمة ربك بك ...

فهناك من لا يعبد ربه إلا وهو فقير ، ولئن أغناه الله نُسِيَ الله ... !

وهناك من يحب الله وهو غنى ، فإن أفقره جحد بكل شئ وأنكره !

وهناك الذى يذكر الله كثيراً لأنه مريض يطلب الشفاء ، ولئن عافاه ، لتمرد وتجبر فى الأرض ... !

إفترض أن الله تعالى قد خلق كل الناس أغنياء ، وكلهم أصحاء ، حاول أن تتخيّل شكل أى مجتمع بهذه التركيبة ... ! لم تكن لتجد من ينظف لك الشارع ، أو يقود الأتوبيس العام ، ولكنت وجدت أعضاء المجتمع من الأغنياء الفتوات ... !!!

مُسْلِم ... مَسِيحِي ... رَجُل ... امْرَأَة ... غَنِي ... فَقِير ...!

إن رَحْمَة رَبِّنا اللهُ تَعَالَى بَنّا وَمِنْ تَمَام كَمالِ حِكمَتِهِ وَمَطْلُوقِ عَدْلِهِ ، أَنْ جَعَلنا دَرَجاتٍ فِي كُل شَيْءٍ . حَتّى تَنصَلِح الأَرْضُ وَتَنْضَبِط بِتِلْكَ الدَرَجاتِ وَالْمَسْتَوِيّاتِ . وَهُوَ ما لا يَنْفَصِلُ عَن تَوْظِيْفِهِ لِنَفوسِنا حَسَب شاكِلَتِها وَجَوهرِها ، وَبِما يَعتَبَر أَفْضَل وَأَعَدَل وَأَحْكم تَوْظِيْفٍ يَتَناسَبُ مَعَ شاكِلَةِ كُل نَفْسٍ ، وَلِإِفاذَةِ هَذِهِ النَفْسِ بِأَعْظَم الخَيْرِ أَوَّلًا وَأَخِيرًا .

وَقَدْ تَجَدَّدَ مِنْ يَسْأَلُكَ ... لِمَذا خَلَقَني اللهُ ... أَعْمى ؟! (هُوَ ضَرير) هَلْ أَنَا الَّذِي اخْتَرْتُ ... أَنْ أَكُونُ أَعْمى ... ؟!

لا ... بِالطَّبِيعِ لا ... !

... فَالمَوْضُوعُ مَرْتَبِطُ بِوَهَّابِيَةِ اللهِ تَعَالَى وَرِزْاقِيَّتِهِ وَعِلْمِهِ وَحِكمَتِهِ . فَكَمَا قُلْنَا إِنْ تَطْبِيقُ مَعادِلَةِ تَمَامِ مَطْلُوقِ عَدْلِ اللهِ تَعَالَى ... إِنّما يَشْمَلُكَ « دُنْيا » وَ « آخِرَة » ، وَبِمَعْنَى أَنْ تَمَامَ ما وَهَبَ اللهُ تَعَالَى لِأَيِّ شَخْصٍ فِي دُنْياهِ إِنّما يَضَافُ إِلى ما سَيُعْطِيهِ لَهُ تَعَالَى فِي آخِرِهِ . لِأَنَّ الدُّنْيا لَيْسَتْ هِيَ دَارُ العِطاءِ الوَحيدِ ، وَلَكِنّها دَارُ بَدِايةِ العِطاءِ . وَقَسْ عَلَيَّ ذَلِكَ ... أَيًّا ... مِمّا يَتَرَأى لَكَ ... أَوْ يَدُورُ حَوْلَكَ ... فِي ذِاتِ الخُصُوصِ ، وَبِما لا يَنْفَصِلُ عَن كَوْنِ نَفْسِكَ مَوْظُفَةً مِنَ اللهِ تَعَالَى فِي أَمْثَلِ ما يَناسِبُ تَمَامَ تَشْكِيلِها ...

وَقَدْ يَتَبَادَرُ لَذَهْنُ البَعْضِ ... تَساؤُلُ عَمَنْ يُولَدُ مَصابِيا بِالتَّخَلُّفِ العَقْلِي ...

مَذا عَن نَفْسِ هَذا الشَّخْصِ ... ؟! وَأَيْنَ هِيَ مَلامِحُ نَفْسِهِ المَتَشَكِّلَةِ ... ؟!

هَلْ هُوَ الَّذِي اخْتارَ أَنْ يَكُونُ هَكَذا ... ؟! وَهَلْ مَشْكِلتُهُ فِي جِسدِهِ أَمْ فِي رُوحِهِ أَمْ فِي نَفْسِهِ ... ؟! أَمْ فِي الثَّلَاثَةِ ... ؟!

إِنْ مِثْلُ هَذا الشَّخْصِ ... وَإِنْ بَدَأَتْ مَشْكِلتُهُ - تَجاوزًا وَمُوقَّتًا نَطْلُقُ عَلَیْها مَشْكِلةً - بِنَفْسِهِ أَوْ ذِاتِهِ ... فَمِنْ المُمْكِنِ أَنْ تَراها مَنعَكِسةً عَلَیْهِ جِسْديًا بِشَكلٍ أَوْ بآخر ... وَلَكِنْ رُوحَهُ أَوْ سِرَّ وَجُودِهِ ... ما زالَتْ كَامِنَةً بِهِ ... وَتَعْمَلُ وَتُؤدّي مَعَهُ ... كَما تُؤدّي مَعَ الآخَرينَ - الطَّبِيعِينَ - أرواحَهُم .

بَدِايةً ... مِنْ هُم أَطْرافِ هَذا المَوْضُوعِ ... تَأثيرًا وَتأثُّرًا ... ؟

... اللهُ سَبْحانَهُ وَتَعَالَى كَرَبُ خالِقِ ، وَالشَّخْصُ مَحْورُ النِّقاشِ ، وَأَسْرَتُهُ ، وَالْمَجْتَمَعُ الَّذِي يَنْتَمِي لَهُ هَذا الشَّخْصُ بِأَسْرَتِهِ . إِذَنْ ... وَمِنْ مَنطَلَقِ ثِقَتِكَ المَطْلُوقَةِ ... فِي إِطْلاقِ عَدْلِ رَبِّنا اللهُ تَعَالَى ... فَإِنَّهُ غَيرُ مَتَخَيَّلٍ ... أَنْ يَفْرضَ اللهُ تَعَالَى عَلَيَّ مِثْلَ هَذا الشَّخْصِ إِلَّا ما يَناسِبُهُ ... !

مُسْلِم ... مَسِيحِي ... رَجُل ... امْرَأَة ... غَنِي ... فَقِير ...!

ويعني ... أن « نفس » مثل هذا الشخص ... عند عرض كل المعاني والممكنات عليها مثل باقى النفوس الأخرى ... لو أنها تشكَّلت مثل تشكُّل الأخريات ... لأوجدها الله سبحانه وتعالى ... مثلما أوجد تلك النفوس ... من خلال هبة الوجود - التى يمنحها لكل نفس - بما يناسب تشكلها الذى سلكته بِحُرِّيَّة ، ودون إكراه من الله تعالى وحاشاه .

والا لو تخيلت لجزء من لحظة أن « نفس » مثل هذا الشخص - المصاب بالتخلف - قد تشكَّلت مثلما تشكَّلت أى نفس أخرى ... وأهدر الله سبحانه وتعالى هذا الاختيار والتشكل لهذه النفس ... ووافق به لنفس أخرى ... فأوجد الأولى رغماً عنها ... فى هذا الوجود - مُصابة بالتخلف - وأوجد الأخرى دون إهدار لتشكُّلها ... كما يُوجد أى نفس فى أى إنسان طبيعى ... إن فكرت بهذا الأسلوب ... تكون طاعنا - والعياذ بالله - فى عدل ربنا الله تعالى . وأنت لا تستطيع أن تفصل - فى الحقيقة - بحدود فاصلة بين عدل الله وعلمه وإحاطته ورحمته ووهابيته وحكمته ... الخ .

ولكن عندما نستخدم مصطلح « عدل الله » فإنما نريد أن نبرز منطق العدل وإن كان إبرازه لا يستر ولا يعطل أفعالا أو أداءات أخرى لربنا سبحانه وتعالى .

ويعنى ... أن نفس هذا الشخص ... متساوية فى كل شئ مع أى نفس أخرى لإنسان عادى ... وأخذت كما تأخذ كل نفس ... والشكل النهائى الذى ظهرت به فى عالمنا من خلال هبة الوجود الممنوحة لها من الله سبحانه وتعالى هو أفضل وأعدل وأحكم ما يناسب هذه النفس بعد تمام تشكلها ... وقبولها أو رفضها لما عُرض عليها ...

هذا ما دمت تؤمن بأن نفوسنا جميعاً فى يد ربها وخالقها العدل الحكيم . وكما قلنا فإن إبراز منطق « العدل » أو « الحكمة » ... لا يعنى قيام الله تعالى بممارسة عدله أو حكمته ... وحجب باقى صفاته وأفعاله ... سبحانه وتعالى ...

وإن كان فعل الله ... قد استطاعت أن تسميه الحروف ... فإنها لن تحيط بِمَمارِس الفعل أثناء ممارسة فعله ، وستعجز عن تحديد جوهر حقيقة فعله كما يفعل هو سبحانه وتعالى ... جلُّ شأنه ...

مُسْلِم . . مسيحي ... رجل ... امرأة ... غنى ... فقير ...!

وعلى ذلك يكفي أن تعلم .. أن « الله » تعالى هو الذى أوجد هذا الشخص - المصاب بالتخلف - فى أفضل هيئة وجود ممكنة ، وبما يتناسب مع كل ظنك فى الله تعالى .

كان هذا من جهة الإيجاد من الله تعالى ، وأما بخصوص الشخص ذاته - وكما قلنا - ستطبق عليه معادلة تمام مطلق عدل الله تعالى ، دنيا وآخرة . مع ملاحظة أن مثل هذا الشخص قد سقط من على عاتقه عبء التكليف الذى يحمله الشخص العادى ، لطالما هو خارج حيز الإدراك العقلى الكامل ، وبالتالى يخرج أيضاً من حيز المساءلة ... ولربما يساعدنا ذلك الخيط فى تحسس شئ عن هذه النفس ...!

... وطرف آخر مرتبط بهذا الشخص ، وهو أسرته ...

... وحيث أن مثل ذلك الوجود لمثل هذا الشخص فى أى أسرة ، إنما يعتبر اختباراً ضخماً من الله تعالى . ولثلما يجزى الشاكر ... كذلك يجزى الصابر ... فالإختبارات عديدة ... ولكل من يرى مثل هذا الشخص ، إنما يرى عظة أو عبرة حية ناطقة ... لجلال وكمال النعم الحاصل عليها كُلُّ منا بوهابية ربنا الله تعالى ... ولكى يتذكر ... من نسى ... ولا يقلق أى منا لطالما أن مَوْطَف نفسه هو ربنا الله تعالى وليس أحد سواه ، ولطالما أن كلاً منا قد ارتضى عدل ربنا تعالى عدلاً ذا كمال مطلق لا مُعَقَّب له . والحمد لله أنه ربنا ونحن عباده .

● التأمل الثامن ●

■ القدر والقضاء ♦♦ ■

القدر :

هو تقدير الله - تعالى - لكل شئ علماً وإحاطة وتديراً ...

القضاء :

هو ما كان من تقدير الله - تعالى - آخذاً شكل القرار ، أو الحكم النهائي . والقضاء إذن شكل من أشكال القدر ، أو من أشكال تقدير الله تعالى ... يأخذ شكل الأمر النافذ المفعول ، ولا يملك الخلق جميعاً إلا الإنصياح لذلك الأمر ، لأنه لا اختيار لهم فيه ... هذا وقد يكون القدر ، أو تقدير الله تعالى .

(أ) تقدير علم وإحصاء وإحاطة :

وهو الذى ينطوى على إحصاء وإحاطة علم الله القديم الأزلى لكل شئ قبل أن يكون . ويعنى سبق علمه تعالى بمعرفة ما سوف يكون قبل أن يقع أو يحدث من كل خلقه . وهو مجرد تقدير علم وإحصاء وإحاطة . وكما قلنا ، فإن علم الله تعالى المسبق الأزلى بما سوف يكون من أحد خلقه ليس بمكره ولا بقاهر لعبده على فعل معين لا يرغبه العبد ، إذن فهو ليس تقدير تسيير ، ولكن تقدير إحصاء من علم الله تعالى لكل ما سيحدث قبل أن يحدث . وهو ما يغلب تسميته بـ « القدر » .

ويفعل الإنسان ما يفعل ، ويقول لك « أعمل إليه مكتوب ، واللى مكتوب عاجبين

لازم تشوفه العين » ...!!!!

لا ... مَيِّزٌ من فضلك ... فأى شئ قبل أن يحدث منك هو بالفعل « مكتوب » أو هو « قَدَر » ، ولكن مكتوب أنك ستفعل بمحض إرادتك كذا وكذا ، وسيكون الناتج كذا وكذا وكذا ١٠٠ أى لم يتحكم فيك هذا النوع من القدر أو المكتوب ، ولكن ما فعلته أنت لم يجبرك عليه أحد ، ولذلك عليك بتحمل كل النتائج بلا « شماعة » تُسميها مرة « قدر » ومرة أخرى « مكتوب » ...!

(ب) تقدير تدبير وفعل ...

ومن أبرز أشكاله ... التى يمكننا أن نتأمل فيها ...

ب/ ١ - قدر التأصيل

وهو الخاص بكل ما سبقت فيه كلمة الله - تعالى - فكان ، من خلق السماوات والأرض والليل والنهار والكواكب والنجوم والكائنات ... ووضع كافة القوانين والسُّنَنَ الكونية ... الخ أى أن قدر التأصيل يخص أمر الله - تعالى - فى إظهار كونه بكل قوانينه وعناصره للوجود أو لحيز الفعل والأداءات التى صُمِّمَ من أجلها .

وعلى هذا فعناصر الكون الذى نعيش فيه هى عناصر « مُسَيَّرَة » لأداء ما أراد لها الله - تعالى - وإلى ما شاء الله ... وأنت - فى هذا المناخ الكونى « المُسَيَّر » - تحيا فى نعمة عظمى من ربك تعالى .

لماذا ؟

لأنه لو كان للعناصر الكونية المختلفة « اختيار » فى تفاعلها معك ، لرفضتك حيناً وقبلتك حيناً ! . ولأظلمت - مثلاً - الشمس واختفت فترة ولأسباب قد تراها هى منطقية ... مثلاً أن البشر لا يستحقون ... لسوء ما يفعلون !! ... ولهلكت أنت بالصقيع ولأظلمت بك الدنيا ... !!

ومن أمثلة قدر التأصيل أيضاً هيأتك وتركيبتك العامة ، التى تحتوى على أجهزة عضوية معينة ... مخ .. قلب .. عضلات .. معدة .. أمعاء .. كبد .. إلخ .

وكذلك الطبيعة والخصائص الشكلية العامة والتشريحية الخاصة لكل جهاز أو عضو بجسمك ... مثلاً .. عينك ذواتا فتحتين أفقيتين وليستا رأسيّتين ! ... يدك تحتوى على خمسة أصابع وليست أربعة أو ستة ! ... فهذا تسيير لا اختيار لك فيه . وكذلك - كما قلنا - تسيير عمل المخ والقلب والتنفس حفاظاً على حياتك يقظاً ونائماً ... كل ذلك أمثلة على قدر التأصيل والذى سبقت فيه كلمة الله تعالى ، أمراً وقضاءً لأراد له . فكان كل شئ كما أراد هو سبحانه ... وهو تسيير نفع لك ، وليس من أجل قهرك وإكراهك ...

لا ... فهو لنفعك أولاً وأخيراً ... سواء تسيير الكونيات حولك أو تسيير أجهزتك ... وإلا لو كان لديك اقتراح بأفضل مما صَنَعَ وقَدَّرَ أحسن الخالقين ... سواء فى نفسك أو فى الكون حولك ... قلُّهُ من فضلك !!!

ب/ ٢ قدر الإظهار

كما سبق وأن ناقشنا كيف مرّت كل النفوس بمرحلة كونها مفردات في علم الله القديم الأزلي ، ومرت بعد ذلك بمرحلة التحقق الأولى من خلال مرحلة الخلق العادل المساوي بينها ، ثم انتهاءً بالتشكّل الذي صارت إليه بعد عرض كل المعاني والممكنات عليها . وكما قلنا فهو « تشكّل حرّ » لا يشوبه قهر أو إكراه ، لأن هذا التشكّل إنما يصيغ لكل نفس حقيقتها أو شاكلتها ، التي هي أنا وأنت وهو وهي ...

وكما ذهبنا إلى أنه بخلق آدم ﷺ ، أن انتمت كل النفوس لعالم الذرّية والتي تنتهي بالميلاد لأب وأم في زمان ومكان ...

وذهبنا إلى أنه بمطلق حكمة وعدل ربنا تعالى يتم توظيف كل نفس مُتَشَكِّلَةً ... التوظيف الأمثل زمانياً ومكانياً وانتساباً لأب وأم بالميلاد ... من خلال منح كل نفس متشكّلة هبة وجودها النهائية ...

وأنت هنا تعتقد أنك وجدت نفسك اضطرارياً ابن فلان وفلانة وفي ظروف كذا وكذا وكذا ... أي أنك أجبرت على أن تكون كذلك !

هذا وإن كان إخراجك النهائي بالميلاد لأب وأم في زمان ومكان وظروف معينة هو ما نقصد به « قدر الإظهار » إن كان هذا القدر من صميم صنعة الله تعالى ، والذي يظهر من كافة مظاهره العامة أنه قرار تسيير لا اختيار لك فيه . إلا أنك « باختيارك » الذي ساهمت فيما أنت فيه . كيف ؟!

لتقريب المعنى سنضرب مثلاً إيضاحياً ...

إفترض أن هناك طالباً في الثانوية العامة ، فهو ترقى في نظام التعليم ووصل إلى ما هو فيه لإتمام اجتياز نقطة معينة وهي صاحب قرار توجيهه بمستقبله إلى حيث سيكون ... والمجالات مفتوحة ...

فهذا الطالب يعلم أن هناك تحصيل معلومات وعلوم ، وأنه لابد من الإجتهد ، ولابد من التعامل مع الموقف بما يؤهله لأن يكون في أفضل ما يريد لنفسه ... وحصل هذا الطالب على مجموع معين ، أهله للإلتحاق بكلية معينة بإحدى الجامعات ... فهل إذا اشتكى الطالب بعد ذلك من المناخ العام والمواد الدراسية والأساتذة والمواصلات ... !... هل له أن يدّعى أنه مقهور ومغلوب علي أمره وموجود فيما لا يحب ولا يريد ، وهو لم يشارك في اختيار وجوده في هذه الكلية أو الجامعة ؟

هل تقبل منه مثل هذا الإدعاء ؟!

بكل تأكيد ... لا يمكن قبول ادعائه ... لماذا ؟

لانه يحض إرادته - وككل زملائه - تواجد في مجال الثانوية العامة ، وهو يعلم أنه بما يُحصَلُهُ ويستعد به ، إنما يُشارك في صنْع كيفية وجوهه التالى بعد الثانوية . وهو بنتائج ممارسته ، لم يكن له وجود أفضل من جامعته التى استقبلته . ويكون هو باختياره قد شارك جوهرياً في وجود نفسه بهذه الجامعة وفي هذا التخصص ...

كان هذا مثلاً لتقريب المعانى ...

وعودة لنقطة نقاشنا ، فإن « قدر الإظهار » من خلال التواجد لأب وأم في زمان ومكان بالميلاد . مثل « الجامعة » التى تستقبل « طالب الثانوية العامة » وتكون كل نفس متشكلة تشكلاً حراً إختيارياً ، تكون قد ساهمت في تحديد جامعتها أو ملامح وجودها الأرضى ، والذى قد يبدو من ظاهره أنه مناخ مفروض من الله تعالى علينا بلا مشاركة لنا فيه من قريب أو بعيد .

ولكنه ليس إلا ظاهر تسيير في باطنه تمام التخيير .

فالله سبحانه وتعالى يُسَيِّرُك فيما اخترت ... كيف ؟

أى أنه بعد كامل اختيارك وأنت نفس أثناء التشكل كنت حراً واخترت ، قَصَصَ لك الميلاد والوجود الأمثل المتطابق مع ما اخترت ، فكان أن وجدت نفسك في ظروف حياتية معينة صنعها الله لك وحولك ، فاعتقدت أنه فرضها عليك فرضاً وسيَّرَك بها .

لا فهو يُسَيِّرُك بها بموجب اختيارك ، ولأنها أمثل ما يطابق اختيارك والذى صار في نمط يسمى « شاكلة » . فهو سيرُك فيما اخترت أنت أو أنك « مُسَيِّرٌ فيما اخترت » ...

ويكون المناخ التسييري الظاهري المحيط بك بمثابة المُحدِّدَات والمتغيرات الخاصة والعامة التى تُكوِّن محيطك الذى تتحرك أنت فيه .

وتكون أنت « مُحَيَّرٌ » في حيز المحددات والمتغيرات المحيطة بك . ولا تنس انضباط معادلة منتهى العدل الإلهي معك إعطاءً ، دنيا وآخرة ...

ب/ ٣ - قدر الجود والرحمات

وهو تقدير الله تعالى المظهر لتجليات وهابيته ورزاقيته وجوده وكرمه وغناه ومراحمه لعموم خلقه ... فهو قد قَدَّرَ - ضمن ما قدر - للأرض أرزاقها ، وكل مجتمع أو دولة ما ... لا بد وأن تكون مستقرة على سطح مكان ما في الكرة الأرضية . ذلك المكان قَدَّرَ له الله تعالى سابقاً مجمل رزقه ينضح به لأصحابه متى كانوا أهله وسكانه .

« القدر والقضاء » .

فتجد تلك الدولة غنية أراضيها بكذا وكذا... والأخرى بكذا وكذا... والثالثة.. الخ. وذلك تقدير وجود ورحمات على وجه العموم . ومن أمثلة تقدير الجود والرحمات على وجه عام أيضاً ... نزول شريعة سماوية من الله تعالى رحمة منه بعباده أو سقوط الأمطار ... ظهور علماء ... الخ .

وعلى المستوى الفردى الشخصى تجد عمل « قدر الجود والرحمات » من أرزاق بفهومها الشامل ، وصحة ، وقبول توبة ، واستجابة دعاء ، وقبول لدى الناس وأمن من خوف ... إلخ .

وعلى مستوى المجتمعات والدول فالأمر « تسيير » من الله سبحانه وتعالى ، ولا مجال لتلك المجتمعات أو الدول فى أن تختار فيما وجدت نفسها عليه . ولكن هى « مُخَيَّرَةٌ » تماماً فى التعامل مع ما تم « تسييره » ... فهى حرة أن تبيع وتصدر فوائض محصولاتها الزراعية وعملياتها الإنتاجية أو أن تلقىها فى البحر ... مثلاً ... ! هى مجتمعات حرة فى أن تستفيد بما وهبها الله تعالى أو لا تستفيد ... ! إذن فالجتمعات « مُخَيَّرَةٌ » فيما « سَيَّرَتْ » فيه ...

وعلى المستوى الفردى ، وقبل أن « تُرْزَقَ » فإنه لا بد وأن تأخذ بالأسباب .

فأنت تعلمت وتخرجت فى إحدى الكليات وعملت بإحدى الوظائف . أو أنت تعلمت حرفة معينة وتجيدها ... تلك هى اختياراتك وأنت فيها تماماً « مُخَيَّرٌ » ... ولكن عملك هو مجرد أسباب وليس هو رازقك ! .

فأنت حين تعمل بمهنتك أو بوظيفتك إنما تفسح المجال لرزاقية الله تعالى كى تعمل فيك ... فأنت تعمل لدى الكريم ذى الجود والإحسان الحنان المنان الغنى الوهاب ... تعمل لديه فى كونه ... فى أرضه ... تأخذ بأسبابه ... تتفاعل مع نظمه وشرائعه وقوانينه ... فأجرك إذن ليس من أحد سواه ... فأنت تعمل لديه فى ملكه ... وأجرك إذن عليه ... ولو كنت تعمل لدى بخيل لكان لك أن تخشى أن يقتر عليك لكنك تعمل لدى الكريم - سبحانه - وهو يعطى كرمًا وجوداً وليس لما يساويه عملك ... !

ولئن ناديت له لوجدته ... ولئن سألت له لأعطينك ... فاقرع بابه يفتح لك ... وادعه يستجب لك ...

فأنت اخترت الأسباب والعاطى هو رب الأسباب ، ولا اختيار لك فيما يعطى العاطى الكريم ، وعطاؤه لك يشملك دنيا وآخرة ...

« القدر والقضاء » .

ولذلك فأنت فى قدر الجود والرحمات ... قد اخترت فقط الأسباب وأخذت بها ، وعملتُ فيك - بعدها - تجليات وهابية ورزاقية وجود وكرم وغنى ورحمة ربك تعالى ، كما يُلَيِّقُ بربك تعالى ، وعلى قدره هو ، وليس كما تختار أنت .. وليس على قدرِك أنت . إذن فأنت « مُسَيَّرٌ » بتجليات رزاقية وكرم وغنى ربك فيما اخترته أنت من أسباب . فأنت هنا « مُسَيَّرٌ فيها اخترت » ...

وكذلك فأنت تدعو وتأمل فى إجابة دعائك ... وأنت « مخيرٌ » فى أن تدعو أو لا تدعو !!!

والإجابة لا اختيار لك فيها ... وأنت تأخذ بأسباب العناية بصحتك وأنت مخير فى هذا ، ولكن ليس سبب دوام صحتك هى أسباب العناية التى تأخذ أنت بها ...!

ب/ ٤- قدر الدفع

هو تقدير الله تعالى فى دفع الناس بعضهم ببعض لإعمار الأرض أو لنقل إنه « تقدير التنسيق والتوفيق » بين الناس بعضهم وبعض ، وبين الدول والمجتمعات . حتى يحتاج هذا لذاك وتحتاج الدولة لغيرها ، وتعمل فيهم حكمة ربهم تعالى « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين » (١) .

فتلك الدول - مثلاً - غنية فى آبارها البترولية ، والأخرى فى مناجم المعادن ، والثالثة فى أراضيها الزراعية الجيدة ، والرابعة ... الخ . وهو ما يُسَنِّدُ لقدر الجود . وعلى هذا لا تجد أن هناك مجتمعاً ما أو دولة معينة تستطيع أن تكون كياناً مستغنياً عن كل الكيانات الاجتماعية والدولية الأخرى . وبالمثل على مستوى المجتمع الواحد لن تجد الإنسان ذا الكيان المستقل الكافى نفسه كل احتياجاتها ...

ويعنى أن الله تعالى صمَّم كونه وأرضه على أساس « الدفع المتبادل » بين الانسان وأخيه ، وبين الدولة وبقية الدول ... وعلى أساس « مبدأ المنفعة المتبادلة » .

فلو أنه سبحانه وتعالى أغلق كل مجتمع أو دولة على ذاتها وأعطاها كل عطايها وبما لا يجعلها تحتاج مجتمعات أو دول أخرى ، لصارت كل دولة كرة أرضية مستقلة ولاغلقت على ذاتها . ولكن حكمته تعالى ، أن تعمّر الأرض بخلقه تنسيقاً وتوفيقاً وتعارفاً . « وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا » (٢) .

(١) البقرة ٢٥١ .

(٢) الحجرات ١٣ .

« القدر والقضاء » .

ولكى يعرف كل مجتمع كيف ومن أين يُوفى باحتياجاته ، عليه بالتعرف على المجتمعات الأخرى ، وما بها من مميزات وخيرات وفوائض ونواقص ، وبناء على تلك المعرفة يمكن أن يحدد كيفية الاستفادة بما لديه وبما لدى الآخرين . وقد ذهبت بعض المجتمعات - وما زالت - إلى أنه للاستفادة بخبرات مجتمع ما ، فلا بد من احتلاله لنهب وسلب كافة خيراته وإن كانت قد هدأت هذه النظرة الهمجية في عصرنا الحالى ، وحلت محلها نظرة السيادة المستقلة للدول ، وتبادل النفع سلمياً .

وبالمثل لو أن الله تعالى خلق الانسان مكتفياً بنفسه مستغنياً عن كل شئ واحد ، لصار كل انسان دولة مستقلة ذات سيادة ...!! وهو طبعاً ما لا تنصلح به الأرض ، ولا المجتمعات ، ولا الناس ... لذلك كان وجوب تقدير الله تعالى ... تقدير الدفع أو التوفيق والتنسيق ...

هذا ويمكن تناول « تقدير الدفع » أو « قدر الدفع » من منظور القرار أو الحكم النهائي من الله سبحانه وتعالى ، والذي لم يتدخل فيه الانسان مختاراً ، لأنه ليس لإختياره دور ما فى صناعته أصلاً . فالإنسان لم يكن باختياره أن تكون اليمن والبرازيل هما المنبع الرئيسى للبترول مثلاً ، ولم يكن باختيار الانسان أن تنضج آبار بترول الخليج بما هو فيها الآن إنتاجاً ومخزوناً ... وقِسْ على ذلك كل شئ وبالمثل على المستوى الفردى أو الشخصى للإنسان .

فنظرية « الدفع الإنسانى » كنظرية حاکمة أو كقانون حاكم لمسيرة الانسان - منذ بدايتها وإلى أن يشاء الله تعالى - هى نظرية سيادية من الله تعالى ، ولا تدخّل للإنسان فيها . وهذا هو جزء « التسيير » أو ما يتعلق بصناعة « القانون » ، « قانون الدفع الإنسانى » ... ولكن الإنسان كفرد أو حكومات هو « مُخَيَّرٌ فِيمَا سَيَرُّ فِيهِ » .

كيف ؟

فبالرغم من أن الإنسان قد وجد نفسه هكذا محتاجاً - دائماً - للآخرين ، وكذلك الحكومات والمجتمعات والدول . إلا أن هذا الإنسان - أو الحكومة أو المجتمع أو الدولة - هو « مُخَيَّرٌ » فى التعامل مع حيثيات قانون الدفع . فهو يمكنه أن يكون محامياً أو مدرساً أو نجاراً أو مطرباً أو سارقاً ... الخ فى هذا النظام العام لقانون الدفع . فقانون الدفع هذا ، إنما يستوعب كل المتناقضات الإنسانية لإحداث التكامل المطلوب .

« القدر والقضاء » .

فإما أن تكون هذا المحامي ولك دور وهناك احتياج لك وأنت تحتاج الآخرين ، وإما أن تكون ضابطاً أو نجاراً أو سارقاً ... ومهما كنت ... ستكون أحد المفردات الأساسية التي يحتاج إليها النظام الإنساني العام للدفع . وقد تقول لى وهل المجرم أو السارق مفردة أساسية يحتاج إليها قانون الدفع أو النظام الإنساني العام ؟

نعم !... كيف ؟

هذا المجرم مثله مثل الميكروب أو الفيروس الضار ... فما فائدة الإثنين ؟!

إن الميكروب أو الفيروس وإن كان يمثل أحد عناصر ومكونات التعادل الكونى العام ، إلا أنه من منظور قانون الدفع ، لابد وأن يكون هناك مريض فى وقت ما ، ولا بد أن يكون هناك طبيب وصيدلية وشركة أدوية وعاملون بالصيدلية وشركة الأدوية وكلهم أصحاب أسر واحتياجات . فأنت تمرض بسبب وجود ميكروب أو فيروس وهو لك « اختبار تسييرى » من الله تعالى .

ويعلمك فى مرضك ، ويسمع صوتك لو كان صوتك لا يصله وأنت مُعافى ! ... ويغفر لك من ذنوبك ... إلخ .

فحتى الميكروب أو الفيروس أنت مستفيد به ومعك الملايين من الناس ! ... وكذلك الميكروب أو الفيروس البشرى ... المجرم ... فهذا المجرم يسبب لك « التوتر » و « القلق » و « الترقب » و « الخوف » ... إلخ .

وهى ضديّات للاستقرار والأمن والطمأنينة ... ولا بد من الضديّة المُنسّقة أو المتعارضات المتكاملة ... الخير ... والشر ... المرض ... والصحة ... الأبيض والأسود الخ .

فهو اختار بمحض إرادته أن يكون هكذا فى ظل النظام العام ، ومن أجله تواجد الضابط والشرطى وقسم الشرطة والمحامى والقاضى والمحكمة ... إلخ .
ستقول لى ولكى يوجد الضابط وقسم الشرطة والمحامى والقاضى ... أتوتر أنا وأفقد أعصابى وأخاف !...

... ومن أدراك أن خوفك هذا ليس من مُكوّنات قانون الدفع ؟!

... فلأن هناك من يخوّفك ... ستكون أكثر « احتياطاً وحيطه وحذراً » ، ولربما هذا درس يريد لك الله أن تعلمه . ثم من أدراك أن مجرد خوفك لا يشابه مرضك ... وأن الله تعالى سيسمع صوتك لحظتها ولأنك ربما تكون قد نسيت منذ زمن أن ترسل له رسائلك !...

« القدر والقضاء » .

والفرق هنا بين الميكروب والمجرم أن الميكروب هو « خادم مُسَيَّر » لمشيئة الله تعالى . ولكن المجرم هو « خادم مُخَيَّر » لتلك المشيئة ، ولو أراد هو نفسه لكان شخصاً آخرًا ... فهذا المجرم أثر أن يحصل على احتياجاته بطريقة « القوة والسلب » ، وليس بالشكل الشرعي لسدِّ الحاجات . فأساس تحركه هو حاجاته وليس حباً في الإجرام ... سرقة ... قتل ... الخ . لا ليس حباً في الإجرام كان تحركه وكونه فيما هو فيه ، ولكن إشباعاً لاحتياجاته بأسلوب غير شرعي فهو متفاعل إذن مع قانون الدفع ، ويعلم أنه غير مُكْتَفٍ بذاته ، ولكن مساراته غير شرعية .

ويتساوى هذا المجرم الفرد مع المجرم لو كان « مجتمعاً » أو « دولة » . فقد تُؤثر بعض الدول القيام بالدور الإجرامي في سد حاجاتها وأطماعها ... وهذه الدولة « المجرم » ، كما أن الفرد « مُخَيَّر » في التفاعل مع قانون الدفع ، هي أيضاً « مُخَيَّرَة » في ذلك التفاعل ، وبذلك أنه كان يمكنها أن تحصل على ما تريد بالشرعية ...

ب/ ٥- قدر الرحمات التذكيرية

وهو تقدير ربنا تعالى أقدار رحمات لعباده ، لتذكيرهم بما فاتهم ولتبصيرهم بما أغمضوا هم عنه عيونهم أو أغمضت عنه عيونهم .. رحمة من ربهم الرؤف الرحمن الرحيم . وعلى المستوى الشخصي الفردي ... قد يجدها الإنسان في مرض مفاجئ يُلمُّ به ، علَّه يتذكر ما نسي ويرجع عما هو فيه . وقد يكون اختبار حب من حبيب لحبيب ، ليرى ريك مقامه في نفسه وقلبك ، ويغفر لك ذنبك ويُعلِّى لك قَدْرَكَ ... وتذكّر أن عطاء ريك غير محدود فقط بالدينا . وقد يكون تقدير ريك نقص أموال يصيبك ... ليرى حال حمدك وشكرك وليعرف قدر حبك ... هل فقط تحبه وأنت غنى ...!!؟

وفي كل هذا وغيره ... لا اختيار لك فيما قر به ... وثق أن هذا التفسير رحمة وحب ، حتى وإن كان في ظاهره قسوة ، ففي باطنه تمام ومطلق رحمات وحب ربنا الله تعالى ...

وعلى المستوى الإجتماعي والدولي قد تشهد المجتمعات والدول أيضاً تلك النوعية من الرحمات التذكيرية ... فيضان ... زلزال ... مجاعة ... نشوب حرب ... والتي أيضاً تحمل قسوة ظاهرية ولكن منتهى الحب والرحمة جوهرياً ... فليس المقصود إلا التذكير والرجوع العام عما يحيا فيه المجتمع ، ولكي تكون كلمة جماعية ... « يا رب » ... إنه تعالى - رحمة وحباً - يريدكم أن يعودوا إليه ... ألا تستغرقهم أنفسهم ويلهيهم الأمل ... ويضلوا الطريق إليه ...

« القدر والقضاء » .

وقد يأخذ « قدر الرحمة التذكيرية » شكل « قدر الجود والمراحم » فى الناتج النهائى . فمن الممكن أن يكون قدر الرحمة التذكيرية فى شكل « عَالِم » أو « داعية » خادم لله ولرسالته يُذَكِّرُ الناس وَيُجَرِّى الله على يديه خيراً كثيراً ...

وقد يكون التذكير فى شكل خرق للعادة ، مثلما تتم بعض المعجزات الخارقة لكل مألوف على يدى بعض عباد الله الصالحين من شفاء أمراض إلى غرائب وعجائب لا يألُفها العقل البشرى بسهولة ... كل هذا وليس للفرد أو المجتمع اختيار فيه ... لكنه تسيير رحمت للذكير .

ب/٦- قدر النهايات الحتمية ...

وهو تقدير الله تعالى وإجراؤه لقانون حتمى التطبيق مثل الموت فهو نهاية حتمية لكل كائن كان ...

وعلى المستوى الفردى فليس الموت بعقوبة ، لكنه إعمال لقانون حتمى التطبيق ، وهو نهاية حياة الإنسان على الأرض ، وإفساحه المجال لآخر يحتل مكانه لاستكمال مسيرة البشرية إلى ما شاء الله ولا دخل للإنسان ولا اختيار فى دفع أو تأجيل الموت ... « كل نفس ذائقة الموت » .

فالموت إذن سُنَّةٌ طبيعية تجري على كل حى مخلوق ... وهو ليس بعقوبة ... ولكن ... قد تكون أسباب الموت فى شكلها العام عقوبة لكى يعتبر من له عقل وعينان ! ... فمثلاً ... قد نرى نهاية طاغية ... من خلال قتله بشكل بشع ... وقد ترى ذلك جماعياً ... كما فى تلك المدن التى خسف الله تعالى بها ... وعموماً ... لا اختيار لإنسان فى الموت ...

ب/٧- أقدار لا يعلمها إلا الله تعالى

كان أن تأملنا فيما يمكننا أن نفهمه عن أنفسنا وما حولنا ، ولكن ما لا نعلمه أكثر وأكثر وأكثر ... ولذلك كان ما فى علم الله تعالى أعظم وأعظم وأعظم

... « سبحانه لا علم لنا إلا ما علمتنا »

وتبارك ربنا تعالى القائل « وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً » ..

و « سبحانه ربك رب العزة عما يصفون » ...

.....

● التأمل التاسع ●

—■ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ !! —■

يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ...!

لقد سبق وأن قلنا أن المشيئة الإلهية ، إنما هي الخاتم والتصديق الإلهي على كل فعل في أى زمان ومكان من أى كائن كان . وذكرنا أن الأفعال الإلهية ، إنما مرددها لإرادة الله تعالى ومشيتته ...

وعن أفعال البشر

فلإنسان - كما خلقه الله تعالى - مشيئة وإرادة فيما له فيه اختيار . ومشيئة الله هي الخاتم والتصديق الإلهي على إرادة ومشيئة الإنسان حتى يصدر عنه الفعل البشرى أو الإنسانى فى حيِّز التنفيذ والأداءات .

فالإنسان فيما هو « مُخَيَّرٌ » فيه ... إنما هو صاحب إرادة ومشيئة ، ولكن كما قلنا ... ولأن الإنسان ليس هو المفردة الوحيدة على سطح الكرة الأرضية ولكن مثله بلالين وبلايين المفردات الإنسانية ، وجب أن تقوم المشيئة الإلهية بالتنسيق بين إرادة ومشيئة هذا الإنسان وبين :

١- بلالين وبلايين الإرادات والمشيتات الإنسانية الأخرى .

٢- قرارات وأحكام السيادة الإلهية ، والتي لها طابع التسيير كما رأينا فى حالات معينة ...

وبالتالى تقوم المشيئة الإلهية بالتصديق الفورى على قرار المشيئة الإنسانية لطالما لم يصطدم بأى مما سبق . ولئن كان هناك ثمة تعارض ما ... مع أى أو كل من النقطتين السابقتين ، تُوجَّهُ حكمة الله تعالى مشيئة الإنسان للبدائل الأخرى الممكنة ، ولا تقهر « تخييره » ولكن تُرشِّدُ وتُعَدِّلُ مساراته ... لعدم الإطاحة بمشيئات الآخرين و/ أو التعارض مع أحكام القضاء الإلهي واجبة نفاذ المفعول ، أو تلك التى لم يحن وقتها بعد ... فهو مازال « مُخَيَّرًا » ، ولكن فى بدائل أخرى ، مثلاً هى لا تطيح بـ ... أو تلغى أو تعطل مشيئات الآخرين ...

فالأساس إذن فيما أنت مُخَيَّرٌ فيه ... هو عين اختيارك . وتجواب المشيئة الإلهية معك هو كما ذكرنا إما للتصديق أو إعادة التوجيه لبدائل ومسارات أخرى لا تَقِلُّ إن لم تكن أفضل لك ... ولكنك لو علمت وفحصت جوهر الأمور ... لشكرت ربك تعالى ... لأنك كنت ستكتشف فيوضات رحماته فيما وجَّهَكَ إليه . ومازلت أنت فى قبول

يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ...!

توجيهه لك ... « مُخَيَّرًا » ... بدليل ... إمكانية عدم قبولك أو تنفيذك لأى بديل مطروح عليك ...!!

إذن فمجمّل القول أن مشيئة الله تعالى هى خاتم إلهى يؤمّن على مشيئتك التى تشاء ها أنت باختيارك . إذن فاختيارك أولاً ومشيئة الله تعالى ثانياً ... كيف ؟ نعم ...

فعلمه تعالى قديم أزلى ، مكتوب فيه ناتج اختيارك ومراد إرادتك ورغبة مشيئتك ... ولكن لن تبادر المشيئة الإلهية وأنت تجلس مثلاً فى بيتك مُضرباً عن الحياة أن تُسَيِّرَ لعنوان معين بحى كذا شارع كذا منزل رقم كذا شقة رقم كذا ... للزواج من الأنسة فلانة ...!!!

لا .. لن يحدث هذا ...

إختيارك أولاً .. إرادتك أو مشيئتك ... وبعدها خاتم التصديق الإلهى بمشيئة الله تعالى ، لكى يرى مرادك النور ... ولك ... فيما أنت فيه « مُخَيَّر » ما أحبت ... وعلى مستوى القضية الإيمانية ... قدر التسيير الوحيد فيها ... هو نزول رحمت ربنا تعالى فى صورة رسائل وشرائع سماوية ... ولكن أن تؤمن أو لا تؤمن فذاك إختيارك وعمل إرادتك أو مشيئتك ... وبعد أن تعمل مشيئتك - تُصَدِّق عليها المشيئة الإلهية بخاتمها ... ولك ما أردت ...

فهناك من افترى على الله كذباً ، زاعماً أنه تعالى يُسَيِّر قوماً للإيمان وآخرين للعصيان تعلقاً بآيات قرآنية ... مثل .. «يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ» ...!! زاعمين أن مشيئة الله هى المحرك الأول والأخير فى القضية الإيمانية وبمعنى « تسيير » البعض للإيمان و « تسيير » البعض الآخر للكفر أو الضلال والعياذ بالله ، ويقابلها أيضاً فى التوراة «يُقَسِّى مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحِّمُ مَنْ يَشَاءُ» ...

ولكن ليفهم الجميع أنه لو « سَيَّر » فى الإيمان فلم يُجَازِى ويُكَافِئ عليه !!!؟

وإن كان « يُسَيِّر » فى الكفر والضلال - وحاشا لله - فلم يعاقب ويُعَذَّب عليه !!!؟

... إن الأمر بمنتهى الوضوح ... هو « نظرية تلفيق المُبَرَّرَات » ... تلك التى يحتاجها الفسلة المُهَرِّطُونَ ، لكى تكون خلاصهم من ضعف نفوسهم وعبوديتهم للخطيئة ... يفترون على الله كذباً ... وهو إن كان مُسَيِّرُهُم فى الكفر والإيمان ، فلم تكون الرسائل والرسل والأنبياء والجنة والنار ... الخ . لكان - إذن - كل هذا عبث وهراء ... وسبحانه وتعالى ما خلق شيئاً باطلاً ...

يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ...!

ولكن إن أردت فهم .. « يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ » ... فأَعْمِلْ فيها كل ما فهمته في « التفسير » و « التأخير » و « المشيئة » .
ببساطة ...

من يشاء الهداية من الناس وتلك مشيئته الشخصية وباختياره تُصَدِّقُ عليها بخاتمها مشيئة الله تعالى . ومن يشاء الضلال من الناس وباختياره تُصَدِّقُ عليها بخاتمها مشيئة الله تعالى ... وعلى هذا وبعد أن عملت مشيئة الله تعالى ، يحق له سبحانه أن يقول أنه بمشيئته ... اهتدى فلان ... وبمشيئته ضلَّ فلان ... ولكن لم تكن مشيئة الله هي المَكْرَه المُسَيَّر ولكنها كانت المُصَدِّقُ بخاتم المشيئة الإلهية على حُرِّ اختيار الإنسان ...

وكان « يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ » إنما تعنى ...

تُصَدِّقُ مشيئة الله على مشيئة الإنسان الراغب في الهداية وتنفذها له ، وتُصَدِّقُ على مشيئة الإنسان الراغب في الغواية وتنفذها له ... ولا تعنى إطلاقاً ... فقء عيون الناس والغاء عقولهم وتعطيل اختيارهم ومحو شاكلة نفوسهم ... وإرغامهم على أن يكونوا أبراراً أو خُطَاة . لو كان الأمر كذلك ... لما كان لخلق الإنسان معنى أو سبب ، ولاكتفى الله تعالى من خلقه بمن هم أبرار بلا قدرة على المعصية ... كالملائكة ... ولاكتفى في وجود نقيضهم من الأشرار ... بوجود الشياطين ...!!

لا ... ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانهك ...

وانظر معى تأكيد ذلك ...

« فلما زاغوا ، أزاع الله قلوبهم » (الصف : من ٥)

أنظر ... « فلما زاغوا » ... إذن هم - مجموعة من الناس - بمحض إرادتهم واختيارهم وبمطلق مشيئتهم قد « ضلوا » أو « زاغوا » عن الطريق ... وقد اختاروا الضلال لهم سبيلاً . فماذا تفعل مشيئة الله ؟!

لطالما أنه لا تَعَارُض - كما قلنا - مع مشيئات الآخرين ولا مع أحكام قضاء إلهي ... تُصَدِّقُ عليها مشيئة الله تعالى ، ولصاحبها ما أراد .

فكيف صَدَّقَتْ عليها مشيئة الله تعالى ؟!

... « أزاع الله قلوبهم » ... ذلك هو تصديق مشيئة الله تعالى على مشيئة

الذين « زاغوا » باختيارهم وإرادتهم ...

يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ...!

ويستوي ذلك مع " خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً " .

خَتَمَ ... بمعنى طبع وأغلق ، وصارت بذلك قلوبهم وحواسهم مختومة أى أُغْلِقَتْ عَلَى ما هى فيه واحتجبت به عن الحق ...!

فهل فَعَلَتْ مشيئة الله تعالى هذا من تلقاء نفسها ... لا والله ...!
إنها حُرُّ إرادة ومشيئة أحببت العمى عن النور ، فصَدَّقَتْ عليها مشيئة الله بخاتمها ...
وأنظر معى لعين وجوهر التخيير ...

.. " إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا " (الإنسان : من ٣)

فها هو ربنا تعالى يسترجع مع الإنسان فضله عليه ، إذ عَلَّمَهُ وهده إلى كل المعاني
والممكنات ، وعرفه الحق ... وخَيْرَهُ إما أن يكون مؤمناً شاكراً أو جاحداً كافراً ... « إِمَّا
شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا » ... أى للإنسان مشيئته وإرادته ومطلق اختياره الإيماني ...

وكذلك .. " فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ " (الكهف : ٢٩)

إذن ها هو الإعلان الإلهي الدامغ أن لك حرية مشيئة واختيار ... " مَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ "
باختياره ... " وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ " بارادته واختياره ...

أفتذا جاء الله بعد ذلك وختم بتصديق مشيئته على ما أَرَادَهُ عباده باختيارهم ، يقولون
هو الذى هدى هؤلاء وهو الذى أضلَّ هؤلاء ... هَدَاهُمُ اللهُ ...

إنك فى القضية الإيمانية تتحرك بمطلق التخيير ، ولا تسيير إلا لما اخترت ... فأنت
" مُسَيِّرٌ فِيهَا تَخْتَارُ " ... لئن اخترت الايمان ... سَيَّرَكَ اللهُ فى الإيمان الإختيارى بتصديق
مشيئته ، ولئن اخترت الضلال ... سَيَّرَكَ اللهُ فى الضلال الإختيارى بتصديق مشيئته ،
أى أنك " مُسَيِّرٌ فِيهَا اخْتَرْتُ " ... فى القضية الإيمانية ...

ولا تلوْمَنَّ إِلَّا نَفْسَكَ ...!

● التأمل العاشر ●

— ■ الخليفة لا يعلم !... ■ —

الخليفة لا يعلم ...!

... قال لى ... لو لم أكن إنسانا كنت أفضل أن أكون ملاكاً أو عصفوراً ...!

قلت له : تلك مشكلتك أنت ! ... لأنك تريد أن تغير خلقك لأنك تعبت !!

ومن قال لك أن الملاك - أى ملاك - لديه وقت فراغ ويحيا فى راحة أو أنه لا يحسدك عما أنت فيه لو كنت تستحق ذلك منه فعلاً ...!

ومن أدراك أن العصفور - أى عصفور - يلهو ويلعب ويطير مغنياً طول الوقت !
من أدراك أنه ليس فى رحلة كد وسعى وطلب رزق وبحث عن أمن ... الخ .

ومن أدراك أنه لا ينظر إليك باعتبارك سيداً له ...؟!!

إنك يا سيدى لا تعلم الدرجة الرفيعة التى أنعم الله تعالى عليك وعلى كل إنسان بها لكونك ولكونه إنساناً ...!

لقد قال تعالى ... « ولقد كرمنا بنى آدم » ، هل تعلم معنى أن يُكرم ربنا الله عبيده ، إنه إن كرمه فإنما كرمه بما يليق بأن المُكرم رب إله ولنفحص معاً بعضاً من هذا الكرم .

لقد أبدع الله الكون فأحسنه ، وأقر لكل شئ قوانينه فأحكم ، ودبر لكل أمر أمره فيسره . وبذلك هيأ الكون تماماً لاستقبال المخلوق الأخير ... الإنسان ، والذي خلقت من أجله ويسببه جميع المخلوقات علويها وسفليها .

وأعلن الله تعالى قراره للملائكة .. « إني جاعلٌ فى الأرض خليفة » فماذا قالوا ؟! ... « قالوا أجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك .. »

فماذا رد عليهم الله تعالى ... « قال إني أعلم ما لا تعلمون » (البقرة : ٣٠)
أنظر للقرار الإلهي ... « إني جاعلٌ فى الأرض خليفة » ، أى يخلفنى فى تنفيذ قوانينى وأحكامى فيها . أنظر لمعنى الخلافة هنا إنها تعنى أن الإنسان هو الذى يتسلم من الله مقاليد الأرض ويديرها بقوانين الله وأحكامه .

أنظر ... نحن خليفة الله فى الأرض ، أى نحن الذين نليه وكل شئ يأتى من بعدنا . نحن الذين نقوم مقامه على الأرض لإقرار قوانينه وأحكامه . إنها تعنى ثقة الله تعالى فى الإنسان ولذلك استخلفه . تأمل رد الملائكة وهم فى هذا الموقف ... « أجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك » .
إنهم يتحدثون عن سابق خبرتهم بساكنى الأرض القدامى من عالم الجن والذين أفسدوا فيها .

الخلافة لا يعلم ... ١

فالملائكة لا تتحدث عن الغيب أو عن الإنسان في المستقبل ، ولكن تكلموا عن الإنسان بسابق خبرتهم ومعرفتهم بساكنى الأرض القدامى ، والذين طردهم الله وشتمهم في كل ما ليس بعمار .

إن الملائكة لا يقصدون مجادلة الله تعالى ولكن يخشون أن يفعل هذا المخلوق الجديد غير المُجرب أو المعروف لديهم مثلما فعل سابقوه . ويخبرون الله - رغبة في استقرار الأرض - أنهم أولى بهذه الخلافة فهم العابدون المسبحون الذين لا يفتر عن عبادته والتسبيح بحمده . قال لهم الله تعالى «.. إني أعلم ما لا تعلمون ..» . أنظر درجة ثقة الله تعالى في الإنسان . إني أعلم ما لا تعلمون . أى أنا أعلم بمن خلقت وبما قررت . فأنا خالقه ومُعدّه لهذه المهمة ، ولقد جهّزته بما يليق بخليفتى أى بالذى يلينى فى تنفيذ قوانينى وشرائعى فى الأرض . فبماذا جهز الله تعالى الإنسان لهذه المهمة !؟

فى الحديث القدسى ... خلق الله تعالى آدم على صورته ، وفى رواية أخرى على صورة الرحمن ... والمقصود هنا بـ « على صورة الرحمن » ... أنه سبحانه وتعالى شرف بنى آدم وكرمهم بمنحهم من صفاته لتمكينهم من تأدية دور الخلافة فى الأرض .

فالله تعالى قد جعل من الإنسان ... سميعاً ... بصيراً ... عالماً ... حكيماً ... عادلاً ... رحيماً ... ذا بطش ... كريماً ... الخ . وجعله ذا مشيئة ، وأعطاه سلطاناً على كل شئ ، ولم يجعل لشئ سلطاناً عليه . بل جعل من كل ما على الأرض أدوات لمشيئة الإنسان . يتصرف بها كما يشاء ، ولكن فى إطار دور الخلافة المحدد إن أراد أن يكون أهلاً لتلك الخلافة .

لقد حمل الإنسان أمانة خلافة الله تعالى فى الأرض وتطبيق شرائعه وتعاليمه ... تلك الأمانة التى عرضها الله تعالى على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها أى رفضن ذلك . ليس عصياناً لله تعالى . بل لأن العرض لم يكن مُلْزماً ولم يكن أمراً قد صدر بالفعل ، وإلا لكان واجب التطبيق .

«... إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَنشَفْنَ مِنْهَا وَحْمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا» (الأحزاب : ٧٢)

أنظر لقد أشفقت السماوات والأرض والجبال من حمل الأمانة وتبعاتها لعدم ظلم نفسها فيما لا تستطيع أن تتحمل ... لقد حملها الإنسان ، أى أنها عُرِضَتْ عليه ووافق على أداء المهمة وهذا امتداد لمنتهى عدل ربنا الله تعالى .

الخليفة لا يعلم ...!

وقد يتبادر للذهن تساؤل منطقي . وهو ، متى عُرِضَتْ هذه الأمانة أو هذا التكليف ؟ وعلى من ؟ وهو ما ناقشناه قبل ذلك من جانب معين .

... إنه من منطق عدل الله تعالى أن يسأل من سيحمل أتستطيع أم لا تستطيع ؟ مثلما حدث مع السماوات والأرض والجبال ، وسبق أن تعرضنا لهذه النقطة .

ولقد أعدَّ الله الإنسان بما يجعله مَكْمَنَ أسرارهِ ومستودعِ نعمهِ وهباتهِ . فكل إنسان ... أنا ... وأنت ... وكل إنسان ... نحن أقوى من السماوات والأرض والجبال . هكذا أبدعنا الله أقوى من الكلّ ...!

وكمّا ذكرنا في تأمل « من نحن » ، أننا مررنا بمرحلة الخلق العادل المساوي بيننا جميعاً في كل شيء ، وتحولنا من مجرد حقائق أزلية في علم الله تعالى إلى حقائق في عالم السكون . ثم علّمنا الله تعالى كل المعاني والممكنات وبالتالي تشكّلت تلك النفوس بحرية تامة وأصبح لكل منها شاكلته . ثم بخلق آدم ﷺ أصبح الجميع منتبهاً إلى عالم الذرّة .

ولطالما أنه تعالى قال .. « **إني جاعل في الأرض خليفة** » ، إذن فهذا قرار إلهي منتهى منه وبمعنى أن كل شيء قد تم ، أي عُرِضَتْ الأمانة ووافق الإنسان على حملها .

لأنه لو كان الأمر متعلّقاً بعلم الله تعالى فقط ، فعلمه سبحانه مُحَصٍّ محيط نافذ ، وبالتالي فقبل عرض الأمانة ، كان تعالى يعلم بإشفاق السماوات والأرض والجبال من حملها ، وكذلك كان يعلم مقدماً بموافقة الإنسان على حملها .

ولكن علم الله تعالى لا يحمل الإكراه أو الإجبار - كما قلنا - ولذلك فالمنطق هنا بجانب علمه تعالى ، هو منطق عدله المطلق .

ولذلك فلنا أن نتصور ، أننا ونحن نفوس متشكلة في عالم السكون - وكان آدم أيضاً مثلنا نفساً متشكلة - وبعد أن علّمنا الله تعالى كل شيء ، عرض علينا جميعاً الأمانة فوافقنا على حملها ... فكانت الخطوات التنفيذية بإخراج أول الخلق أبينا آدم إلى الوجود وبالتالي دخولنا لعالم الذرية ونحن موافقون بما عَرَضَ علينا ربنا تعالى وفي هذا الخصوص يقول الله تعالى .. « **وحملها الإنسان ، إنه كان ظلوماً جهولاً** » ..

لقد أعد الله تعالى الإنسان قِاماً لهذه المهمة . بل وأودع فيه من أسرارهِ ما يجعله يحمل ما لا تستطيع حمله السماوات والأرض والجبال ، أعدّه وعلمّه وهياً له كوناً متكاملاً متناغماً . ونصّبهُ خليفة له في الأرض . أي سيد لكل ما هو فيه ، سيد لكل الأشياء ولا سيد منها له .

الخليفة لا يعلم ...!

... « وحملها الإنسان ، إنه كان ظلوماً جهولاً .. ».

إن الله تعالى يحدثنا بعلمه المحصى المحيط أن الإنسان « ظلوم » و « جهول » ولغويًا « ظلوم » صيغة مبالغة في الظلم . أى أن الإنسان مبالغ في ظلم نفسه بما حمل !

كيف ذلك ... والله تعالى قد أعدّه تمامًا لتلك المهمة ، وعرضها عليه فارتضاها ..!

.... إنه علمُ الله تعالى الذى رأى فيه الإنسان قد وافق على حمل الأمانة طامعاً فى بريقتها فى التسلط على الأرض ، والسيادة عليها ، وارتشاف ملذاتها ، والحياة فيها من أجلها !!
ولذلك فقد استحق من الله تعالى الوصف الثانى « جهول » أى أن جهله مبالغ فيه جداً . لأنه وإن كان قد حمل الأمانة إلا أنه قد نسى ما نسى .

نسى الإنسان أنه خليفة لربه تعالى فى الأرض فى تنفيذ شرائعه وأحكامه . فقد نسى أنه مُوكَّل من الله تعالى واعتقد بأصالته فى الأرض وليس بوكالته فيها نيابة عن الله تعالى ... ونسى ما أمره الله به من إقامة شرائعه وسُنَّه فى الأرض بل أن الإنسان قد أخذ يتحايل على تلك الشرائع التى هو أمين عليه لتطويعها لمسايرة ما يريد ...!

... « إن الإنسان ليطغى » ... نعم لقد طغى الإنسان وعاش فى الدنيا من أجلها خدمة لنفسه . واعتقد بأصالته فى الأرض بل أنه نسى أن الله سبحانه وتعالى لم يخلق الكون تاركاً القوانين الحاكمة له تُنظِّمُهُ بمفردها دون تدخُّله .

نسى أن الله تعالى يباشر ملكه كملك للملوك وكمالك لكل مالك ومملوك ... وأنه تعالى لم يترك القوانين تتعامل مع الكون بمفردها . نسى أن الله يراقبه ولم يراقب هو الله أأمن الإنسان مكر الله ...!!

... لقد نسى الخليفة عهد الخلافة ...!!

... « وكان الإنسان عجولاً ... » (الإسراء : ١١)

... « وكان الإنسان أكثر شئاً جدلاً ... » (الكهف : ٥٤)

... « إن الإنسان لظَلُومٌ كَفَّارٌ ... » (ابراهيم : ٣٤)

... « وكان الإنسان كفوراً ... » (الاسراء : ٦٧)

الخليفة لا يعلم ...!

- ... « قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ... » (عبس : ١٧)
 ... « يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ .. » (الانفطار : ٦)
 ... « إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ ... » (العلق : ٦)
 ... « وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ... » (الانعام : ٩١)

وما قدرُوا الله حقَّ قدره

صعد الإنسان للفضاء ، لقد ضاقت عليه الأرض بما رحبت ، وضاقت عليه نفسه ،
 صعد للفضاء حاملاً معه حقيقة أحلامه وعلامات استفهامه ...!

تسلق الكواكب وعبر المجرات ، بحثاً عن أشياء وأشياء . لقد ضاقت عليه الأرض بما
 رحبت وضاقت عليه نفسه . تصور أنه السيد المطلق في هذا الكون . ونسى أنه السيد
 المؤقت على الأرض ويتوكيل خاص بمهمة محددة من السيد الأعلى ... السيد الأعظم ..
 ربنا الله تعالى . توكيل خاص بمهمة محددة لأجل مؤقت ليؤدي فيها الإنسان دور « السيد »
 أى أنه ليس سيدياً أصيلاً ، لكنه سيد مؤقت عبد للسيد الأعظم . لقد نسى خليفة الله في
 الأرض ربه في زحام الدنيا واختناقاتها . ضاعت حقيقة الشرائع من القلوب ، بعدما صارت
 الحناجر قلوباً ، وتشدقت باسم الله في قاموس ردئ مستهلك . يحوى مجموعة من المقررات
 الجاهزة على الألسنة ...

« إن شاء الله » ... « ربنا معاك » ... « الله يشفيه » ... « ربنا يسهل » ...

... « الله يرحمه » ... « الله يخليك » ... « الحمد لله » ...

... « نشكرك ربنا » ... « لو ربنا سهلها » ... « الحمد لله » ...

... « أعوذ بالله » ... « يا رب » ... « ليه يا ربى » ...

... « منك لله » ... « أعمل إيه يا ربى » ... « الله يخرّب بيته » ...

... « حسبى الله ونعم الوكيل » ... « و الله » ... « إتق الله » ...

... « بسم الله الرحمن الرحيم » ... « ربنا سترها » ... « يا ساتر »

... « ربنا ياخده » ... « ربنا موجود » ... « الله يسامحك » ...

... « حيروح من ربنا فين » ... « لا حول ولا قوة إلا بالله » ...

... « قول يا رب » ... الخ .

الخليفة لا يعلم ...!

مجموعة من المفردات المتكررة الخالية من إحساس بمضمونها . و « الله » فيها مُوظَّف
توظيفاً لفظياً بالتعود المفتقد لجوهرية المعنى والإحساس .

تحول المثقفون لعبادة عقولهم ولئن سألتهم أنكروا بشدة ، مُستائين من اللفظ وغير
مستعدين للإستياء من الحقيقة . مع أن حقيقة الحقائق أن الإنسان عبدٌ ما استهواه وأسرّه .

وتحول الأغنياء إلى كاسحات جمع أموال سريعة وبأى شكل ومن أى مصدر ، وأصبح
الفقراء أكثر فقراً و أقل حظاً وأعلى صوتاً ولكن الميكروفونات ليست فى حوزتهم !

وأصبحت شعوب الدرجة الثالثة أو العاشرة من تنابلة السلطان الذين يستهلكون ولا
يُنتجون . يُنفقون ولا يُحقّقون العائد الكافى للإنفاق على استهلاكهم فكانت
« نظرية السندباد » أو « الحكومات » التى تلعب لهم دور « بابا » و « ماما » !!

... تستدين لهم الحكومات ليأكلوا ويشربوا . ولتسدّد الأجيال القادمة فواتير
الحساب !!

... شعوب تملك خيرات وخيرات ، وحكومات تتعاقب عليهم ، والأمر كما هو ...
المزيد والمزيد من الديون !!

ولعل شعوب الدرجة الأولى الممتازة أفضل حالاً من تلك النواحي . فهُم وحكوماتهم من
النضج والوعى أن أصبحوا هم مُقرّضى شعوب وحكومات الدرجة الثالثة ... ويصدّرون لهم
أيضاً فوائضهم من السلع والأفكار المسمومة والمخدرات ، والوهم والأفلام الساقطة
والعبادات الشيطانية ... والأديان الوضعية لأنبياء الفكر لديهم ...!!!

صعدت خيرة عقول شعوب الدرجة الأولى الممتازة فى رحلاتها الفضائية - والتى
تكلفت برامجها البلايين من الدولارات - إلى الكواكب الأخرى ، سعيّاً وراء التعرف على
الكائنات العاقلة الأخرى - بخلاف الإنسان - التى تسكن بهذا الكون . ويتلقون بين
الحين والآخر موجات آتية من الفضاء البعيد تزيدهم ولعاً وشغفا بضرورة الوصول
إلى هذه الكائنات وفتح حوار معهم ، عليهم يكونون أكثر تقدماً مما هى عليه الكرة
الأرضية الآن ...!

صعدوا للتفتيش فى الكواكب الأخرى لاكتشاف تلك التى تصلح لسكنى ومعيشة
البشر .

الخليفة لا يعلم ...!

« ... ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وضاقت عليهم أنفسهم »

..... (التوبة : ١١٨)

لقد استفحل واستوحش شعور الإنسان بالغربة والمرارة واللاهدف . فانصرف بكل ما به من مشاعر مُختلّة وبقوة اندفاعها كاملاً تجاه ذاته . أصبح هو هدف نفسه ... وغايته أن يكون أو لا يكون ... بأى شكل . نسى دوره ... ونسى ربه ...

... « تَسْأَلُ اللَّهَ فَتَسِيرُهُمْ » (التوبة ٦٧)

لقد أصبح من غرائب الأحداث أن تجد مجموعة فى أى عمر من الأعمار ، مجتمعة فى أى مكان ، للتشاور بخصوص « ربهم » أو « دينهم » ...! اللهم إلا فى الصلوات الرسمية ، وفى الأيام الرسمية ، وعلى سبيل أداء واجب ولم تعد تشعر بارتعاش القلوب ... لذكر الله ...!!

لم يعد الله يشغل بال مُدْمِنِي صالونات ومحافل « التنميق » و « الإفتعال » ، من أكابر الشعوب والمجتمعات ... ولم يعد الصُّغَارُ صِغاراً ... بل من أكابر المتمردين ... نعم صاروا فى التمرد أكابر! ... الكل ربط عينيه وشد نفسه لساقيته يدور بها إلى مالا نهاية! ...!

مجتمعات وحكومات وشعوب ... أجيال تراث أجيال ... تراث وتضيف لميراثها . تضيف الكثير من موضوعات الفكر واللاهذية ، وتُقَعَّدُ أسس الضياع . لقد ظلم الإنسان نفسه وظلم غيره ، وغيره ظلم نفسه أيضاً وظلم غيره ... وصار قانون الظلم ... ظلم النفس وظلم الغير هو أساس عدل المسيرة الإنسانية ...!

... « وَلَوْ يُوَاخِذُكُمُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ... »

..... (النحل : ٦١)

ولكن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ...

قال ربنا تعالى .. « وَلَوْ يُوَاخِذُكُمُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ، فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ .. »
..... (النحل : ٦١)

الخليفة لا يعلم ...!

فالحكمة الإلهية التي أَبَدَتْ وَنَظَّمَتْ وَشَرَّعَتْ وَأَقَامَتْ وَأَقَعَدَتْ ... إنما هي حكمة ربانية إلهية مُنْزَهة عن الإنزلاق والزلل ... فلقد كان آدم وكل ابن آدم لخلافة ربنا الله في الأرض ، وإقامة شرائعه ونواميسه ، والحكم بما أنزل وآرتضى كرب إله .

ودور الخلافة الذي ارتضاه آدم وكل ابن آدم هو أساس وجودنا في الأرض . وتعرض ابن آدم للزلل والنسيان والضياع كلها أمور واردة . فهو لم يُخْلَقْ على النمط الملائكي المؤهل فقط لأداء الأمر الرباني وللحمد والتسبيح والتمجيد ... لم يُخْلَقْ ابن آدم خلق النمط الواحد الثابت . ولكن خُلِقَ مُتَضَمِّناً عدداً من الأنماط وجامعاً للمتناقضات . ولذلك فدور الخلافة وحمل الأمانة ، إنما هما في الجوهر « اختبار صعب » .

لذلك كانت إشراقات وفيوضات الأنوار الإلهية الموجهة للمسيرة الإنسانية من رحمت ، وبركات ، ورسم طريق ، وهداية ، ومغفرة ، وإجابة مستغيث ، والضرب على يد طاغية ، والمسح على رأس يتيم ، وهداية ضال ، وإغناء فقير ، وزيادة آخر فقراً ، وتوبة عاصٍ ، وموت هذا ، ومرض ذاك ، وميلاد هذه إلخ .

الله يمارس سلطانه في ملكوته ويمد عبده ويحتمله ويحتمله ويحتمله .

فالحكمة الإلهية لن تنساق خلف الخلق . وإلا لقامت القيامة وكذلك الله الأرض بمن عليها من آلاف السنين ليتخلص من التمرد الإنساني للأبد .

.... « ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه .. »

..... (ق : ١٦)

● التأمل الحادى عشر ●

—■ حروب شيطانية ♦♦ ■—

حروب شيطانية ..

يعتقد معظم الناس فيما يرونه فقط ، بالرغم من أن ربنا تعالى قد أخبرنا عن بعض مما لانراه . قهْم يعتقدون فقط فى الماديات والمحسوسات ويتشككون بل ويرفضون كلية الغيبيات

ومن العوالم التى أخبرنا عنها الله تعالى ، عالم الملائكة وعالم الجن . وعالم الجن من العوالم المستترة بالنسبة لرؤيتنا العينية العادية . وهو ما تعنيه كلمة « جن » وهو الإختفاء أو الإستتار .

وعالم الجن من العوالم القديمة المخلوقة قبل الإنسان . وكانوا هم سكان الأرض لأكثر من جيل لهم . لكنهم عاثوا فى الأرض فساداً . فشتمهم الله فى الجزائر والجبال . وقد خلقهم الله تعالى من النار ... وهم أمم أمثالنا عاقلة . فيهم الذكر والأنثى ، يتزاجون ويُنجِبُونَ وفيهم من يُتَقِنُ علوماً معينة . ومنهم المسلمون ومنهم النصارى ومنهم اليهود ومنهم على غير ذى ملّة وهم الشياطين والعياذ بالله .

والمسلمون وأهل الكتاب منهم - أى النصارى واليهود - كالأدَميين تماماً فيما يتعلق بالأديان . فمنهم من هو مستمسك بدينه عابد لربه ، ومنهم من لا يعمل بما يحمل من الكتاب شيئا .

أما الشياطين أو السلالة الإبلسية - والعياذ بالله - فهم كفره يعبدون النار . وكما أن آدم هو أبونا الأول . فكذلك إبليس الرجيم هو أبوهم الأكبر . الذى اعتبر آدم وكل ابن آدم هو سبب تدهور منزلته التى كان عليها .

فحين خَلَقَ آدم ، أصدر الله تعالى أمراً للملائكة وإبليس مثلاً للجن فى هذا الموقف . أنه ما أن أنهى خلقه - أى خلق آدم - فاسجدوا له . « فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ » (الحجر : ٢٩)

وكان السجود هنا للتقدير والتشريف لآدم خليفة الله فى أرض الله وليس سجود عبادة لآدم . فسجود العبادة لله تعالى وحده . فاستجاب الجميع إلا إبليس الرجيم أبى واستكبر أن يكون مع الساجدين تكبراً لكونه مخلوقاً من النار ، واستخفاً بآدم المخلوق من طين . « قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ ... خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ .. » (الأعراف : ١٢)

حروب شيطانية ..

... « لم أكن لأسجد لبشر خلقت من صلصال من حمأ مسنون » ...

..... (الحجر : ٣٣)

فكان استكبار اللعين ... إجلالاً واعتزازاً بمادة خلقه وهى النار ، والتي جعلته متكبراً عن طاعة ربه ، باعتباره أفضل من آدم المخلوق من الطين ، فكانت هى معبوده ومعبود كل بنى جنسه بعد ذلك .

وقد يتساءل البعض كيف لمثل هذا اللعين أن يكون عابداً للنار وبعد أن كان عابداً لله تعالى ؟!...

يقول ربنا تعالى « ... أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشًّا فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ ، أَفَلَا تَذَكَّرُونَ » .

..... (الجاثية : ٢٣)

فإبليس اللعين اتبع هوى نفسه وعصى ربه بإصرار ... وكان لديه المبررات التى تجعله مُصِراً على ما هو فيه !!...

فتحوّلت طاعته إلى هوى نفسه بدلاً من الله تعالى ، ولأن الطاعة تكون لله جلّ شأنه ... فقد أحلّ اللعين هوى نفسه محلّ إلهه الحق ، وأطاعها وعصى ربه ... ولذلك انطبق عليه وعلى كل السائرين وراء أنفسهم « اتخذ إلهه هواه » ... « وأضله الله على علم » ... ومعنى أن هذا المبدّل لإلهه ... هو عالم بالحق ... غير جاهل به ...!

ولذلك كان عصياناً معجوناً بالكبر وسبق الإصرار والترصّد ، والذى لا يحمل أدنى احتمال بالتراجع عن « عبادة كبرياء النفس » !!...

فكانت النار هى إلهه وإله كل تابعيه وسلالته أجمعين ... وهى مثواهم يوم الدين ... وقد كان اللعين فى مكانة عالية بالسموات ... وقيل بالجنة ... وبعد موقف الكبرياء والعصيان ... صدر له الأمر الإلهى النهائى ...

« فاخرج منها فإنك رجيم ، وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين ... »

..... (الحجر : ٣٤ ، ٣٥)

أى أنك مطرود ملعون إلى يوم القيامة .

حروب شيطانية ..

وانظر كراهيته الشديدة لآدم ... « قال رب قاتلني إلى يوم يبعثون » ..

(الحجر ٣٦)

أى يريد مهلة يبقى فيها حياً حتى يقوم الناس لرب العالمين يوم القيامة ، تربصاً بآدم وذريته . وانظر باقى خطته ... « لَأَزِيدَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَاغْوِيَّتَهُمْ أَجْمَعِينَ ، إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ » ..

(الحجر من ٣٩ ، ٤٠)

أى أقسم على تجميل وتزيين الأرض وكافة ما بها من لهو وفجور ومعاصي وفسوق لكل بنى آدم . لإغوائهم وإفسادهم وترك مهمتهم التى هم لها . إلا من اختارك يا رب كعبد مؤمن وأخلص لك ، فليس لى معه شأن .

فماذا قال الله تعالى ... « إِنْ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ » .. (الحجر ٤٢)

قال ربنا الله إن عبادى المؤمنين ليس لك عليهم سطوة أو قوة أو قدرة . ولك فقط منهم من يتبعك من ضل وغوى ولك ولهم عذابى .. « وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ » .. (الحجر ٤٣)

وحذر الله تعالى آدم من عدوه الذى ناصبه العداء منذ الوهلة الأولى ، فقد أعلن إبليس اللعين عن تربصه بآدم وبكل بنى آدم ومنذ اللحظة الأولى لوجود آدم .

وقد أسكن الله تعالى آدم وزوجه الجنة يقيمان فيها كيفما شاءا . ونهاهما الله تعالى عن الأكل من شجرة معينة . ولكن العدو هناك مترصد . وآدم مازال فى طور حياته الأول حتى وإن خُلِقَ رَجُلًا .

.. « فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى . فأكل منها ... » (طه : ١٢٠ ، من ١٢١)

إن إبليس الرقيم شخصياً مازال حياً ، كما وافق الله تعالى وأمهله حتى النهاية . وله من الجنود الشياطين من يجوبون الأرض والهواء والبحار فى كل لحظة سعيًا وراء انهيار كل بنى آدم والإجهاز عليهم تماماً ... ولك أن تتخيل أو لا تتخيل كم المؤامرات الشيطانية الإبليسية المصاغة بدهاء والموجهة سمومها للإنسان . فهُم يروننا من حيث لانراهم . ونحن نظن أننا وحدنا فى أى مكان نكون فيه . ونظن أن أى فكرة تطرأ على أذهاننا هى من خلاصة أفكارنا وصميم عقولنا .

حروب شيطانية ..

إن الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فى العروق . فهو يتابعك طوال الوقت مُتَحِينًا فرصة للمحادثة معك على طريقته ... الوسوسة ...!

هو يهمس فى أذنك وأنت تتخيل أن كلاماً معيناً يدور بذهنك ، وكثير مما يحدث حولنا ومعنا يكون بالوسوسة أو الهمس الشيطانى فى الأذان . والذي يلقي استجابة للأسف من الإنسان الجاهل بعدوه الشيطان .

وللأسف لعدم الدراية أو للجهل - غير المتعمد - بهذا العدو ، أخذ يلهو بالآدميين كيف يشاء ، وهم آذان صاغية لنصحه المسموم .

والأخطر من ذلك هو "أبلسة الآدميين" أو تحول بعض الآدميين - خروجاً عن شرائع الله جلّ شأنه - إلى معاونين متحالفين مع إخوانهم من أبالسة الجن .

وهناك تخصص فى العالم الشيطانى ، وبمعنى أن لكل نوع من المفاسد شياطينه وجنوده الخاصة به والمتخصصة فيه دون غيره ... !

فمثلاً وأنت تصلى تجد - فجأة - ذهنك متجهاً لموقف تذكرته وما هذا الموقف الذى تذكرته سوى أن الشيطان يقف جانبك هامساً فى أذنك بكلمة سريعة عن ذلك الموقف ، فتتذكره وتتخيل أنت أنه مجرد استرجاع بالذاكرة لأحداث اليوم .

وكلما رقى مستواك فى شئ معين استُبدلَ الشيطان القديم بآخر جديد فى نفس التخصص ولكن على درجة أعلى .

ولا تتخيل أن الله سبحانه وتعالى ، قد خلقهم ليلها هم بنا . لا ... فهم جزء أو إحدى المفردات المكوّنة لنظام الكون . فهم مُكوّن الشر البحت . كما أن هناك الملائكة والذين يمشون مُكوّن النقاء البحت . مُكوّنات مُستتران فالنظام العام للكون حولنا ، وكما أراد الله سبحانه وتعالى يحمل دائماً الوجه والوجه الآخر ، أو سمّها "قانون الضدية المنسقة" .

فهناك الصحة وضدها المرض ، هناك الغنى وضده الفقر هناك النهار وضده الليل ، هناك النور وضده الظلام ، هناك الحار وضده البارد ، وكذلك الخير ونقيضه الشر .. وهكذا .

فهم إذن من مكونات النظام العام حولنا . وعلينا تفهّم ذلك باعتبارهم مُكوّنات خطيرة فى ذلك النظام . واعلم أنك كما انت مطارد من الشياطين فأنت أيضاً محاط بالملائكة ولا قدرة لشيطان على ملاك .

ولكن خط أدائك اليومية ، وسلوكياتك العامة ، وعلاقتك بربك ، هى التى تحدد تركيبة وهوية الفريق المصاحب لك . هل هو فريق ملائكى أم شيطانى .

حروب شيطانية ..

فإن كنت من أهل التقوى - جعلني الله وإياكم - سيكون قانونك هو الله وشريعته ، وبالتالي ستكون أذائك منضبطة بربك . وطريق ربك لا تحرسه الشياطين ولكن حراسه ملائكة . يطردون عنك كل شيطان رجيم ...

... « إن عبادي ليس لك عليهم سلطان . إلا من اتبعك من الغاوين .. » أما من سلك الطريق الآخر - والعياذ بالله - وهو طريق الغواية ، فلك أن تتخيل ، من هم حراس ورعاة الغواية ، أو طاقم حراسته الخاص ، إنه متى سار كان معه طاقمه الإبليسى اللعين . أنظر لإنسان ما أثناء لحظات غضبه ، وافحصه جيداً وهدوء . وانتظر حتى يهدأ ، ستجده شخصاً مختلفاً تماماً .

ماذا وجدت في لحظات غضب هذا الشخص ، من تغيرات عامة صاحبت موقف الغضب ؟

أتحداك إن سألتته بعد عودته لهدوئه ، عما شعر به ؟

سيقول لك - وهذه إجابة شبه عامة - كنت أشعر بحالة هياج وقدرة على قول أى شئ وفعل أى شئ مما لا أستطيع مجرد التفكير في قوله أو فعله في الأوضاع العادية . ووجدت نفسي أقول كذا ... وكذا ... وكذا « مش عارف ليه » !!!...

ماذا يعنى ذلك ؟

إن ذلك يعنى فقدان الإنسان لمجرد لحظات .. لسيطرته المعتادة على أذاته السلوكية . وبما يعنى تسليمه زمام نفسه لشئ آخر لا يعرفه ولا يراه ... لقيادته فقط لمدة لحظات . وفقط تكفى لحظات ولا علاقة هنا لإفراز الغدد بما نقوله ، إفراز الغدد لحظات الغضب يكون بعد الامتلاء بشحنة والمقصود هنا هو الشحنة . وكل الذى فعله هذا الشيطان اللعين ، أنه اقترب أكثر من هذا الشخص لحظة غضبه وأخذ ينفث فيه سمومه ...

... « قول له كذا ... إعمل كذا ... ما تصدقهوش .. » !!!...

إن الشيطان متى رأى فريسته سالكاً طريق الغواية فإنه وبدون مجهود يُذكر ، وهو مُستلقٍ ومستريح سيزيد من إصرار فريسته على الغواية والضلال . مهما كان شكل وجوه هذه الغواية أو ذاك الضلال .

لا تتصور أن الشيطان دائماً يقول كلاماً ، يفهم منه مباشرة أنه فكر شيطاني ، فمن الممكن أن يلعب معك الشيطان دور المُفكر ... ! وبينى لك القصور الوهمية بألفاظ حريرية المظهر سامة الجوهر .

حروب شيطانية ..

كأن يكون معك مثلاً أثناء قراءتك بأحد الكتب العقائدية ويسترسل معك جزءاً جزءاً . ثم يأتي في نقطة معينة ، ويقول لك ... لا ... إن فهمهم خاطئ ... المقصود هو كذا وكذا ... ليُظهر الباطل حقاً ويظهر الحق باطلاً .

ومن الممكن أن يكون الشيطان لك واعظاً يُذكرك ، إن كنت عابداً منقطعاً للعبادة ، يقول لك كيف تنام وتترك ذكر ربك الذي لا ينام !!!

إنه يعلم ما هي مداخل فرسته . فهذا العابد المنقطع لعبادة ربه ، يحتاج أن يستريح وينام قليلاً ، حتى يمكن أن تسير به الحياة ... لكن الشيطان يخطط لهدم ذلك العابد واستغراقه واستهلاكه تماماً ليتخلص منه نهائياً .

وتلعب الشياطين الرجيمة دوراً في منتهى الخبث والدهاء ، يتناسب مع خط سيرهم الذي ارتضوه لأنفسهم منذ جدهم العاصي الأكبر . فهُمْ لا يعبدون الله ، ولذلك تجدهم يتحاولون بكل ما هو ممكن وغير ممكن - من منظور الإنسان - لتحويل الإنسان إلى عبادة شيء آخر ... إنسان مثله ... مثلاً ... !!!

وكما ذكرنا فليس الفكر ولا الأداء الشيطاني ، ممكن القراءة منذ الوهلة الأولى على أنه فكر شيطاني مُدْمَر . ولكن كل فكر أو أداء شيطاني هو في حقيقته « خطة » ، تبدأ بمقدمات لتنتهي بالنهايات المستهدفة . والنهايات هي ما يعنيههم ، وليس المقدمات ولا زمنها الذي تستغرقه ... فأعمارهم أطول منا ، فهم مُعَمَّرُونَ مقارنة بنا . وبالتالي فعمر الإنسان بالنسبة لهم شيء بسيط . ولذلك فخطة الشيطان معك وإن استغرقت نصف عمرك أنت أو أكثر . شيء بسيط بالنسبة للشيطان من منظور زمني .

وكما قلنا فمن خططهم المحبوكة ، هي تحويل الإنسان من عبادة ربه لعبادة أشياء أخرى دون أن يشعر هذا الإنسان بأنه قد استلقى في براثن الخطأ والزلل .

وفي الحقيقة لا يرى هذا الإنسان صراحة أنه تحول عن عبادة ربه .. ولكن كما قلنا هي الخطط المحبوكة والمخدومة بإخلاص شيطاني مُفْرَط !! فالإنسان بطبيعته ميّال للقدوة والمثل الأعلى ، بمعنى سعيه دائماً للتعليق بِسِيرِ الصالحين من سبقوه . والذين شهد لهم التاريخ بجودة العبادة الحقّة لله تعالى ، والإخلاص له ... لم يترك الشيطان هذا الباب ، ولكن قرع عليه بشدة ، بل ووجد فيه ضالته المنشودة ...

فالصالحون من سبقونا ونعلم سيرتهم العطرة والذين يُلقَّبُونَ بـ « الأولياء » لدى المسلمين .. وبـ « القديسين » لدى النصارى . هم في أفضل الحالات بشر .. ومجرد بشر . ولكن الخطط الشيطانية المحبوكة بإبليسية مُفْرطة ، اتجهت في أداء طويل الأجل لا يَكَلُّ ولا يَمَلُّ ،

حروب شيطانية ..

فى إظهار هؤلاء الصالحين فى كم وحجم أداءات إعجازية مهولة . أدت إلى تعلُّق الكثير والكثير جداً من بنى الإنسان ببشر مثلهم ، معتقدين فيهم ، وفى أنهم يسمعونهم ويفعلون لهم ما يطلبون !!...

عمليات جراحية ... صلح بين متخاصمين ... قبول فى وظيفة سبق وأن رُفِضَ فيها الشخص ... رؤيا منامية ... سأفعل لك كذا وكذا وكذا ...! ولئن ضيقت على أى من هؤلاء المعتقدين فى ذلك ... **يقول لك ... أنا فقط أدعو الله بشفاعة فلان ...!!**

وأدّى هذا أنك تجد من المتفشى حولك ، أناساً يقرأون فى مطبوعات تسمى بـ .. **« كُتِبَ معجزات »** ساعين للإلتصام لقوافل وجحافل المؤمنين بذلك الوهم والغى ، مقيمين لهم الأعياد والاحتفالات والتمجيد والندور ..!

لدرجة أنك تجد من يقول .. « والنبي يا فلان ... إعمل لى كذا . » .. « علشان خاطرى .. يا فلانة .. ابنى عنده كذا .. » الخ .

... **« وإن يدعون إلا شيطاناً مريداً .. »** (النساء ١١٧)

بهذا نجح الشيطان فى توظيف رموز تاريخية صالحة ، لخدمة أغراضه وهى تحويل الإنسان بوجهه وقلبه ... ليسأل من هم غير الله تعالى . بل من هم مجرد عبيد له . وهو وحده أعلم بهم وبحقيقة صلاحهم . وهو وحده تعالى الذى يتولى حسابهم وتكريمهم أو مجازاتهم بما هم أهل له ... وليس من باب المعجزات والكرامات المخارقة ، أن يقف معك شخص تُفاجأ به يقول لك ... « يا أخى ... بلاش تزعل نفسك ... هى الوظيفة دى مش كويسة ... سيبك منها ... ربنا شايل لك حاجة أحسن .. » ..! من أدراه بذلك ؟ يَحْزَنُ المستمع راکعاً أو ساجداً يُقبِّل الأيادى ويقول ... وماذا أفعل ؟ إذن فالأمر حقيقة ...!!

نعم حقيقة ! ولكنّه لم يأت بالخوارق - لمن يعلم بفضل الله حقيقة المؤامرة - فكل الذى حدث هو مجرد تلقين . نعم تلقين فى أذن المتحدث لك ، من أحد بنى الجن المصاحب له . هذا الجن كل الذى يفعله أن يتحدث مع أحد بنى جنسه المصاحبين لك والملازمين لك « القرن مثلاً » (١) .

ويعلم منه إحدى مشاكلك المُلحّة . ثم يهمس بها فى أذن صديقه ولا أنت رأيت الأول ولا الثانى ولا استمعت لحوارهما . ولكن كل ما سمعته هو الكلمات التى انسابت بثقة على لسان محدثك ، ومثل محدثك هذا ... وعندما يتوفاه الله ، ستجد أن « الجن » الذى كان مصاحباً له أثناء حياته ، سيؤدى « خدمات جليلة » لكل من ينادى ويطلب هذا الشخص حتى بعد وفاته ...!!

(١) ليس هنا مجالنا للإفاضة فى مثل هذه المسميات والموضوعات بإسهاب ، أو على سبيل تخصيص قدر أكبر لمناقشتها تفصيلاً اكثفاء بهذا العرض السريع لبعض مظاهرها فقط ، والذى يلائم موضوع نقاشنا .

لماذا ؟! ...

لتثبيت الناس فى الضلالة ولللبس الحق بالباطل ، ولكى يتخذ الناس أولياء من الناس أحياء وأمواتا ومن الشياطين من دون الله تعالى ... « **اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ..** » (الأعراف من ٣٠)

وكثير ممن تحدثهم فى تلك الموضوعات ، تجده يؤمن بالمعجزات المفتعلة . ويقول لك .. لا أؤمن بالجن ولا بالشياطين . لأنه لا يراهم ؟

ولمثل هؤلاء أقول ، هل يمكنك أن ترى التيار الكهربائى ؟!

طبعاً لا ... ولكن لهذا التيار وجود وقدرة لا ينكرهما أحد ... ولكن عدم رؤيتك له لا ينفى وجوده أو فعله ... وبالمثل فعدم رؤيتك للملائكة لا ينفى وجودهم ولا يُعطل من فعلهم كذلك من هم مقصودنا ... الشياطين ... وعالم الجن عموماً ، عدم اقتناعك بهم لا ينفى وجودهم وفعلهم .

إن اعترافنا بوجود الشيطان ، لا ينفى مسئولية الإنسان عما يفعل ولا يعفيه من المحاسبة على أفعاله ، ولا ينفى تفوق بعض النفوس البشرية أبلسة على الأبالسة أنفسهم ...! فهو كائن ذو إرادة ومشية وقدرة . ويمكنه فعل هذا وترك ذلك ، وبالتالي نحن لا نُحمّل الشياطين بنتائج فعل الإنسان . ولكن كل إنسان مسئول عن فعله . « **كل نفس بما كسبت رهينة** » .

تماماً كما لو أن لك صديقين ، أحدهما طيب النفس ، والآخر خبيث النفس والعياذ بالله فإنك فى أى موقف قد تتعرض له ، من الممكن أن تجتمع بهما - من منطق الصداقة - لأخذ المشورة . وبعد نقاش طويل أو قصير ، يكون لك رأيك النهائى وبالتالى سلوكك المحسوب لك أو عليك دون أن يُعلّق أحد سلوكك النهائى على أحد صديقك لأنك أخذت منه المشورة . ولك أن تعتبر أن الملائكة والشياطين هم « ملازموك » فى حياتك مثل أصدقائك فى المثال ، وكما قلنا سابقاً ... إن هى إلا توازنات الضدية المُنسّقة . وأنت بسلوكك الذى تُرجّح كفة الغلبة المحيطة بك « ملائكية » أم « شيطانية » . وبالتالى فأنت الذى تحدد نوعية أصدقائك الملازمين ، وبالتالى نوعية النصيحة التى ستستمع إليها . والتى ستكون فى أفضل الحالات - وكرأى أصدقائك - مجرد مشورة والتى تشعر بها داخلك ، كأن هناك رأى وضده ... افعل ... و ... لا تفعل ... إنها المشورة من المحيطين بك ممن لا ترى . وفى النهاية أنت صاحب القرار والسلوك الظاهر والآخر .

حروب شيطانية

« .. هل أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ نَزَّلَ الشَّيَاطِينُ ، نَزَّلَ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرَهُمْ كَاذِبُونَ .. » (الشعراء : ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣)

« .. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ .. » (النور : ٢١)

« .. إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا .. » (فاطر : ٦)

« .. وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالُهُمْ قَصَدَهُمُ عَنِ السَّبِيلِ .. » (العنكبوت : ٣٨)

« .. الشَّيْطَانُ يُعِدُّكُمْ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ .. » (البقرة : ٢٦٨)

« .. أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ .. » (المجادلة : ١٩)

« .. إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا .. » (آل عمران : ١٧٥)

« .. وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا .. » (الإسراء : ٢٧)

« .. إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا .. » (النساء : ٧٦)

لقد قال الله تعالى للشيطان الرجيم الأكبر . « إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ . » .

أى عباد الله الذين يعرفونه ... يحبهم ويحبونه . و يعلمون أن كل شئ قائم به وبقيوميته ويحتاج إليه ، وهو - أى كل شئ - منه وإليه .

كُنْ بِرَبِّكَ ، يكن وجودك حقيقة ، قائمة به . ويضع أعدائك تحت قدميك .

.....

● التأمل الثانى عشر ●

■ نائمون ... أكثر من رُبْع العُمَر ... !! ■

نائمون ... أكثر من ربع العمر ...!!

هل فكر أحد ذات مرة ، أنه يستهلك أكثر من ربع عمره كله فى النوم ...!
فعلاً إنها حقيقة تحتاج للإهتمام والتأمل ، لأن الأمر يستحق ... إنه أكثر من ربع العمر !! .

فاليوم ٢٤ ساعة وأنت كحد أدنى تنام ٦ ساعات - هناك من ينامون أكثر - إذن فأنت نائم ربع اليوم أو أكثر ، وما عمرك إلا أيام ، إذن فأنت تنام أكثر من ربع عمرك ! .
وكما قلنا - والله تعالى أعلم - فالإنسان عبارة عن نفس وروح وجسد . والنوم هو خلود الجسد للراحة مع بقاء الروح به لاستمرارية حياته التى لم تنته بعد ، ولأداء كل الوظائف العضوية الجسدية . فهى عملية خروج للنفس ، خروجاً مؤقتاً وقد ذكرنا فى هذا الخصوص قول الله تعالى ...

.. « **اللّٰهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ كُتِبَ فِي مَوْتِهَا ، فَيَهَيِّئُهَا** **قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأَخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ..** » (الزمر: ٤٢)

أى أنه سبحانه وتعالى يقبض ويأخذ أنفس من يموتون ولطالما قد قضى أجلهم . وكذلك فهو يقبض أنفس الأحياء عند نومهم . فتظل بمشيئته أنفس الأموات عنده ، ويرسل للأحياء النائمين أنفسهم ولطالما لم يحن أجلهم بعد .

وانظر متأملاً فى الآية .. « **وَيُرْسِلُ الْأَخْرَىٰ** » ... إذن فهى ليست تعبيرات مجازية عن قبض الله لنفس الإنسان الحى أثناء نومه ، ولكن عملية أخذ أو قبض فعلى للنفس ، بدليل « يرسل » ، أى يقبضها فعلاً ثم يرسلها .

ما معنى هذا ؟!

إن ذلك يعنى أن جسدي سكنه وراحته فراشك ... على سريرك ... والنفس سكنها ... أو قُلْ ... راحتها ... خارجك ...!

وكما قلنا عن النفس ، فهى ذاتك وحقيقتك وتركيبتك المتشكّلة ، التى حصلت على الوجود بمشيئة الله من خلال هبة الجسد ونفخة الروح .

إن هذه الذات أو التركيبة المتشكّلة هى التى تخرج عنك أثناء النوم فأين تذهب إذن ... وماذا تفعل ... ومع من ... ولماذا ...؟! .

إن النفس تلك الذات أو الحقيقة المتشكّلة والتى هى أنا أو أنت أو هو أو هى ... ، لسنا بمفردنا فى هذا الكون ، وكما سبق أن ذكرنا ، فهناك ما يرى وما لا يرى . والنفس أو الذات أثناء النوم ، تكون « فيما لا يرى » ...!

ناثمون ... أكثر من ربع العمر ١١٠٠

إذن فقد عدنا مرة أخرى .. لعالم السماء .. والملائكة .. والشياطين ... إلخ .

نعم ... وأكثر من ذلك ... عالم النفوس الراحلة ... لأشخاص راحلين ، أى الذين توفاهم الله فعلاً وليسوا أحياء الآن فى عالمنا المادى الأرضى المحسوس .

وكما قلنا ، فأنت الذى تختار أصدقاءك فى عوالم « مالا يُرى » كما أنك أنت الذى تختار أصدقاءك الذين تراهم ... فلان ... وفلان ... إلخ ... فأنت تلك النفس المتشكلة ، التى لها حدود ومعالم وملامح وأهداف وأغراض وأمنيات وخطط وعلوم و ... إلخ .

فأنت إذن بسلوكك الذى تتحدد من هم أصدقاءك فى عوالم « مالا يُرى » لأنك بطباعك وخصائصك ومعالمك فى عالم « ما يُرى » قبيل لفلان لأنه مثلك فى أشياء كثيرة ويميل لك فلان لأنك مثله كذلك ... ، وتنفر من فلان أو ينفر هو منك ... لأنكما لستما نفس الشئ ...! وهذه أيضاً هى قاعدتك فى تكوين « شلتك » أو الحيز المحيط بك من عالم « مالا يُرى » . إذن فالمعيار هنا هو ... « من أنت » ؟! فنعرف من هم الفريق المصاحب لك زماناً ومكاناً . وكما تريد نفسك وقبيل أثناء يقظتك أن تكون ، فكذلك أثناء نومك ستكون نفسك حيث تحب أن تكون .

فالنفس تقبض أو تؤخذ من الجسد حين النوم ، لكنها لا تدخل فى مخزن أو جراج للنفس . إنها تؤخذ بواسطة الله تعالى ، وتعود بواسطة الله تعالى . لكنها فى انطلاقة اللاقيود ، ولا مخازن ولا جراجات ...! و بمعنى أن قبض وإرسال النفس فقط من أمور الله سبحانه وتعالى ، ولا يستطيعها سواه .

و ينطق اللا إكراه من الله سبحانه وتعالى وإطلاق عدله ، فهو لا يفرض علينا شيئاً . فالنفس كما تشكلت بحرية تامة ، كذلك كانت كما أرادت لنفسها وأصبحت تحيا على شاكلتها . وبالتالى فحيزها المحيط الذى اختارته لذاتها من عوالم « ما يُرى » و « ما لا يُرى » إنما هو بمطلق حريتها ولا إكراه فيه . وبالتالى فهى مازالت - أى النفس - تؤدى كما تريد .

فالنفس التحتية فى تكوينها ومطلوباتها وملاحمها الكلية تكون مع أصحاب نفس الشاكلة ، أثناء انطلاقها خلال النوم .

والنفس الزكية حلوة المعالم والملاحم ، إنما تكون مع أصحاب شاكلتها عند انطلاقة النوم .

ناثون ... أكثر من ربع العمر ...!!

هل تعتقد أن أصحاب مثل تلك النفس التحتية ، تفتح لهم أبواب السماء ...!!؟

إنهم فى الدرك الأسفل ... لمعزولون ...!

أما النوعية الثانية ... فلها أن تنطلق وترى وتأخذ جرعاتها العلوية متى وأين وكيف يشاء لها ربها ...!

... « قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرَ ، أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ... »

..... (الرعد : من ١٦)

حقا من أراد أن يكون أعمى فله العمى ... والظلمات كما أراد .. ومن أراد أن يكون بصيراً - بفضل من ربه - فله النور ، وإلى النور دائماً - وبمشيئة ربه - تصير به الأمور .

إذن فالموضوع ليس مجرد خروج للنفس من أجل التنزه واللهم ، لا إنه عالم آخر ... لنعتبره « عالم الإمداد » ... للنفوس ... وكشحن لها ، ومن حكمة ربنا تعالى أنه يضرب النسيان على معظم إن لم يكن كل معالم الإنطلاقة فى ذاكرة تلك النفس . لأنك لو تذكرت كل شئ إذن لانتهى اختبارك ولا جدوى إذن من وجودك فى لجنة الامتحان ...!

لن تجد من يستيقظ من النوم أبداً بدون معالم أو ملامح أو دلالات تدل على ما كان فيه . وإن لم يكن متذكراً !!

فهناك من يستيقظ ويقول لك ... « أنا مصدع جداً » ... ، أو .. « دماغى ثقلى قوى » ... ، أو ... « حاسس إننى كنت فى دوشة » .. أو ... « أنا قايم مكتنب » ... ، أو ... « أنا قايم حاسس بانشرح » ... أو ... الخ ، من التعبيرات أو الصفات التى تصف حالته التى هو عليها أو إحساسه بما كان يمر به أثناء نومه ...!

ما معنى ذلك ؟

إن ذلك يعنى ، أنك كنت فى ... « أَيْسُنْ » ... و ... « مَتَى » ولكن خارج الـ .. « أين » ... والـ ... « متى » الممكن إمساكهما بيديك ...!

وما إحساس الشخص عند استيقاظه والذى ربما يؤثر عليه معظم يومه ، سوى إحساس كامن فى نفسه يتذوقه ولا يستطيع إمساكه أو تفسير أسبابه ، ولا يستطيع أن يمنع نفسه من التأثر به . إنه كان - كما قلنا - فيما يمكن تسميته بـ « عالم الإمداد » وشحن النفوس ولكن ... مَنْ يُدْ مَنْ بِمَاذَا ؟!

نائمون ... أكثر من ربع العمر ...!!

إنك لو فكرت قليلاً ... لتذكرت أن « النفس » ذات شاكلة ، ولها « أين » تحب أن تكون فيه . هذا الـ « أين » هو حيث يكون مطلوب شاكلتها . أو ... فلنقل ... النفس تكون حيث يكون من تطلبه هذه النفس ، والذي لا بد وأن يكون ذا ارتباط بشاكلتها .

فالنفس الخبيثة لك أن تتوقع تحليقها فى العوالم الشيطانية الخبيثة ، والنفس الزكية لك أن تتوقع أنها بفضل من ربها ، تُحَلَّق فى ملكوت الله مع المُسَبِّحِينَ العلويين ومع الصالحين والصدِّيقين ، فى احتفالات ملائكية بهذا الزائر ... النفس الزكية ...!

إنه بالفعل « عالم الإمداد » الذى تُشَحَّن فيه النفوس وكل شاكلة تحدد نوع مادة الشحن ...!

فالنفس الخبيثة ... وسط الإستقبالات والإحتفالات الشيطانية تتلقى الشحن الخبيث والإمداد الشيطانى المخادع ...!

والنفس الزكية ... وسط الاحتفالات الملائكية ... والتسبيحات السمائية ، تلقى من ربها العون والإمداد الإلهى ...!

إذن فخلال النوم ، يتم الشحن ... أو إمداد النفوس ...!

إذن فهناك عطاء آخر لنا من الله ، لكنه غير محسوس أو ممسوك باليدين ، لأنه يتم فى عالم « اللاأينية » وذلك طوال ما يزيد عن ربع عمرك - أثناء النوم - بالإضافة إلى عطاءاته المستمرة طوال اليقظة .

شئ آخر على قدر هائل من الأهمية ، وهو ما يستيقظ النائم ويتذكر أحداثه ، ويروىها ... كقصة ... أو لقطات ...

... يقول لك ... رأيت كذا وكذا ... وكأننى كنت فى كذا وكذا ... وكان ... ورأيت فلاناً ... وقال لى كذا وكذا ... إنها ما يرى النائم أثناء نومه ويتذكره ... إنها الرؤى ... والأحلام ...!!

وما يراه النائم أثناء نومه صنوف عديدة ...!

فهناك من يرى حدثاً معيناً ... وكما رأى فى نومه ... يراه تماماً فى يقظته ...!

ومثل هذا الشخص تعرّد على ذلك ، ولا يفهم لذلك سبباً ...!

وهناك من يرى أحداثاً سواء مفرحة أو مزعجة ... وكأنها فى عالمه الواقعى وبنفس ملامحه ، أو فى أماكن لم يرتدها قبل ذلك ولا يعرفها ... ويمر عليه الموضوع بشكل طبيعى جداً بعد استيقاظه ... ولا يُعير الأمر التفاتاً!

نائمون ... أكثر من ربع العمر ...!!

وهناك من لديه نوعية أحلام أو رؤى متخصصة ... بمعنى ... دائماً يرى أحداثاً مزعجة ... وآخر يرى فقط أحداثاً مفرحة ...

وهناك الوسط بين النوعيتين ... أى أحداث بلا ملامح بارزة ... فهى غير مفرحة تماماً ... وغير محزنة تماماً ...

وهذه المفرحة أو المحزنة أو الوسط بينها ، لا تحدث ولا تتكرر فى الواقع وفى اليقظة كما رآها هو أثناء نومه .

إذن فنحن أمام نوعين رئيسيين من الأحلام ... النوع الأول ... وهو الذى يتحقق بحذافيره كما رآه الشخص . والنوع الثانى ... أشبه بالحكاية القصيرة أو الطويلة ... فى مكان وزمان ومع أشخاص ... لكنها لا تتحقق بنفس إخراجها الذى رآها الشخص به .

نحن الآن نتحدث عن عالم النائمين ... لا تنسَ ذلك ...!

وكما قلنا فهو « عالم الإمداد » ، ولكنه أيضاً ... عالم التجربة والإختبار ، امتداداً لعالم اليقظة ...! كيف ذلك ؟!

إننا نعيش - كما اتفقنا - فى عالم « الضدَّة المُنسَّقة » ، التى تحوى التضاد من أجل التكامل . فهناك النور والظلام ، الخير والشر ، الجأمد والرخو ، الملاك والشيطان ... إلخ .

ولتعلم أن هذه النوعية من الأحلام أو تلك إنما تمت بمشيئة وإرادة الله سبحانه وتعالى . وهو - جل شأنه - لا يقصد أن « يُسكِّنا » أثناء النوم !!

وكما اتفقنا فإننا أثناء النوم ، نكون فى عالم الإمداد ، وكل حسب شاكلته ولتعلم أن أحد أشكال هذا الإمداد هى تلك الأحلام أو الرؤى ...! كيف ذلك ؟!

نحن الآن فى عالم الإمداد ... ملائكة ... شياطين ... صالحون ... خبيثاء ... سماوات ... نفوس تصعد ونفوس تهبط ... لقاءات ... حوارات ... سجود ... تسبيح ... خطط إبليسية ... نصائح ملائكية ... الله سبحانه وتعالى سيد الكل ...

هل تذكرون رؤيا سيدنا ابراهيم - ﷺ - حين رأى فى منامه أن الله تعالى يأمره بذبح ابنه ...!

هل تذكرون ماذا فعل هذا النبى بعدما استيقظ ؟! لقد قال لابنه .. « يا بُنَيَّ إني أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى .. » ...!

نائمون ... أكثر من ربع العمر ...!!

... « قال يا أبتِ افعل ما تُؤمر، ستجدني إن شاء الله من الصابرين »!.

..... (الصافات من ١٠٢)

انظر لهذا الرجل - سيدنا ابراهيم عليه السلام - إنه يعرف بقلبه وبنفسه صوت ربه ..!

نعم ... فهو قد استيقظ بيقين كامل يدرك أن الأمر من الله تعالى ، ولذلك بدأ في التنفيذ ...!

والأغرب من ذلك هو رد فعل ابنه - سيدنا اسماعيل عليه السلام - وهو مستسلم تماماً لمجرد رؤية منامية ...!

إذن فالأمر أخطر من ذلك ...!

نعم ... إن الأب يعرف بقلبه وبنفسه صوت ربه ولا يخطئه ، والإبن يعلم صدق نفس أبيه ، فيستسلم مباشرة ...!

كل هذا في الرؤيا أثناء النوم ؟!

كَلَّمَهُ اللهُ ؟! نعم ...!

ولننظر معاً ، إن الله تعالى كان يضعه في اختبار ، ليرى عبده الذي يعرف صوت ربه ماذا سيفعل ...؟!

لقد فدا الله تعالى الإبن ... وأخبر عبده - الأب - عن ذلك ... إذ قال تعالى ...

... « وناديناه أن يا ابراهيم ، قد صدقت الرؤيا ، إنا كذلك نجزي المحسنين ... »

..... (الصافات ١٠٤ ، ١٠٥)

أنظر ... إن الله تعالى يمدح عبده لأنه عرف صوت ربه بقلبه وقام للتنفيذ ، يمدحه بقوله ... « إنا كذلك نجزي المحسنين » ... لقد أحسن استماعاً ، وأحسن تصديقاً ، وأحسن تضحية ، وأحسن استسلاماً للأمر ، أحسن بأن كان من المحسنين ، الذين يصدقون الله وكأنهم يرونه

ما هذا ؟!

وانظر سيدنا يوسف عليه السلام - إذ أخبر أباه سيدنا يعقوب عليه السلام عن الرؤيا المنامية التي رآها ... « يا أبتِ إني رأيتُ أحدَ عشرَ كوكباً والشمس والقمر رأيتُهم لي ساجدين .. » (يوسف من ٤)

نائمون ... أكثر من ربع العمر ...!!

فماذا قال له أبوه ... « قال يا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ... » (يوسف من ٥)

ما معنى ذلك ؟ ... إن هناك لغة معينة فهمها الأب ... ومن الممكن أن يفهمها بقية أولاده - إخوة يوسف - وقد يتسبب ذلك فى مشاكل لابنه - يوسف - صاحب الرؤيا!!
وهى الرؤيا التى تحققت بعد سنين عديدة ...!!

رؤيا تأتى لإنسان كإرسالية أو بث إلهى لإخباره بما سوف يحدث بعد أعوام وأعوام ...!!

وعندما تحققت ... كيف كان إخراجها فى الحيز البشرى أو حيز اليقظة ؟! ... تكرر نفس موقف السجود - سجود للتحية - من إخوة يوسف وأبيه وأمه (وقيل خالته) .
عندما استدعاهم وهو فى وضعه الذى ارتضاه له الله تعالى .

ما هذا ... الكواكب رمز للإخوة والشمس والقمر رمز للأب والأم ... إننا بذلك نكون بصدد لغة رمزية تُستخدَم من الله تعالى فى مثل تلك الحالات ...!

وانظر إلى حوار سيدنا يوسف فى السجن مع السجينين اللذين رأى كل منهما رؤيا منامية وطلب من سيدنا يوسف تأويلها أو تفسيرها .

انظر ماذا قال لهما ... « قال لا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ، ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّى .. » (يوسف من ٣٧)

ما هذا ... إننا أمام علم إذن ، هو « علم تأويل الأحاديث » أو تفسير الرؤى أو الأحلام . والمُعَلَّم هو الله ... « مما علمنى ربى » ...

انظر لدرجة الثقة فيما علّمه الله ... ماذا يقول لصاحبه فى السجن .. « لا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا .. » أى ما يكون قد قُدِّرَ لكما أن تأكلاه من طعام ، ما أن تقصصوا على رؤاكم حتى أفسرهما لكم بمجئ الطعام قبل أن تأكلاه حقيقة ...!!

وانظر لتفسيره رؤاهم ... صدقت فى كلتا الحالتين ...!

وانظر لرؤيا عزيز مصر ... سبع بقرات سمان ومثلهم سبع بقرات عجاف ، والعجاف تأكل السمان ... وسبع سنبلات خضر وآخر يابسات ... إلخ .

والتى أولّوها له أو فسرهما له سيدنا يوسف مما علمه ربه تعالى بأنها سبع سنوات رخاء وسبع سنوات شدة أو بها الجذب ... إلخ .

نائمون ... أكثر من ربع العمر ...!!

إننا إذن أمام لغة « رمزية إشارية » إنما تحمل علماً ومعانى ...!

وانظر لقول الله تعالى فى ذلك ، وبخصوص تعليمه لنبیه يوسف هذا العلم ... « علم تأويل الأحاديث » أو « تفسير الأحلام » ...

... « وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث .. » (يوسف : ٦)

... « وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض ، ونعلمه من تأويل الأحاديث .. » ..

..... (يوسف ٢١)

وكذلك - فيما يُروى - كان أن حلم « نبوخذ نصر أو بختنصر » ملك بابل بأحلام انزعجت لها نفسه ، واستدعى لها كل العرافين والكهنة لتفسيرها ... ولكن دون جدوى وألهم الله النبى دانيال بتأويلها .

وكان أن رأى الملك ، قبالتة تمثالا جميلاً جداً وهائلاً وعظيماً ، رأس التمثال من ذهب ، وصدره وذراعه من فضة ، ويطنه وفخذه من نحاس ، أما ساقاه فمن حديد ، و قدماه بعضهما من حديد والبعض من خزف . وحين كان الملك ينظر إلى التمثال ، فوجئ بأن « حجراً » بغير يدين قد قُطِع وضرب التمثال على قدميه اللتين من حديد وخزف فسحقهما فانسحق حينئذ الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب معا ... وحملتهم الرياح كغبار ... ولم يوجدوا بعد ذلك . أما الحجر الذى خرب التمثال فقد صار جبلاً كبيراً وملاً الأرض كلها . فبماذا فسره النبى دانيال ؟!

قال للملك ... أنت ومملكك هذا الرأس الذهبى - فى التمثال - وبعذك تقوم مملكة أصغر منك - الفضة - ثم مملكة ثالثة أخرى تتسلط على كل الأرض - النحاس - وتأتى مملكة رابعة قوية صلبة - الحديد - ، أما عن القدمين وأصابع بعضهما من خزف الفخار - الطين - والبعض الآخر من الحديد . فهذا إشارة إلى قوة جزء من هذه المملكة وضعف بعضها وفى أيام ملك هذه المملكة الأخيرة ، يقيم الله تعالى مملكة لن تنقرض أبداً - الحجر - ومملكها لا يترك لآخرين ، هى تسحق وتبید كل هذه الممالك ... وهى تثبت إلى الأبد - صارت جبلاً كبيراً ملاً الأرض كلها - والله كأنما كان يخبر الملك بما سيأتى بعده من أمم وممالك هو بدايتها أو رأسها ... وإلى زوال هذه الأمم والممالك والإشارة إلى من سيكون على يديه زوال هذه الأمم والممالك ...

سبحان الله ...

نائمون ... أكثر من ربع العمر ...!!

إننا إذن نتعامل مع نقطتين غاية في الأهمية أولهما البث أو الإرسال أو الوحي الإلهي ،
وثانيهما علم فك شفرة أو رموز هذا الوحي أو الإرسال الإلهي ، أو علم تأويل الأحاديث .

بخصوص البث أو الإرسال أو الوحي الإلهي فهو شكل من أشكال الإمداد كما سبق
وأن أشرنا . وهذا الإرسال الإلهي إنما يتخذ أحد ثلاثة أشكال من حيث الغرض . الشكل
الأول هو الرؤيا التحذيرية والشكل الثاني هو الرؤيا التبشيرية والشكل الثالث هو الرؤيا
التعريفية . فالنوع الأول يحذر الله عبده فيه من التماذى فى سلوك معين ، أو يحذره من
موقف ما ... الخ .

والنوع الثانى يبشر الله فيه عبده بأى مما يُسرّ به خاطره ونفسه لأنه يستحق هذا من
وجهة نظر ربه . أما النوع الثالث ، فهو شكل من أشكال تعريف الله لعبده بخبايا أمور
معينة أو نفوس ما أو علوم يريد أن يتفقه فيها من لدنه سبحانه ، وهى العلوم الدنيّة ،
أى التى يمن بها الله - جل شأنه - على بعض عباده الذين اختارهم بإحسانه لهذه العلوم ،
ولأداءات معينة فى الحياة بما وهبهم من علم ...

ومن حيث طبيعة التعامل مع تلك الرؤى فإنه يمكن تقسيمها إلى رؤى مباشرة وأخرى
رمزية أو غير مباشرة .

فالأولى كما يرى النائم من الله - عز وجل - ، كما يحدث تماماً فى الحقيقة ، وبالتالي
فمثل تلك الرؤى لا يتم تأويلها أو تفسيرها ، لأنه كما يرى يحدث تماماً .

وهناك النوع الثانى من الرؤى وهو الذى يحتوى على رمزيات تحتاج لمن يفك
شفرتها ويُفسّرها ... ومن ذا الذى يفك هذه الشفرة الإلهية ، أو يخوض فى « علم
تأويل الأحاديث » !! فهو أحد العلوم الدنية التى يمن الله تعالى بها على من يشاء
من عباده .

ولهذا العلم كبار أئمتهم والذين علّمهم الله تعالى من أسرار هذا العلم . وهو ليس من
العلوم الممكن تعلمها من خلال المحاضرة والأستاذ والورقة والقلم والكتاب . لأن الأستاذ
أصلاً والمُعَلِّم هو الله جلّ شأنه . وفى ضوء المعارف البسيطة المتاحة فى هذا الخصوص ،
يمكننا القول أن إشارات رؤى الله تعالى تكون من الوضوح ، بحيث أن الأسماء فيها لها دور
ورمز ، والحيز المكانى والزمانى الذى تدور فيه الأحداث كذلك كل منهما يرمز لشيء .
ويحتاج فك هذه الرموز لمعرفة ما يقابلها فى كتاب الله وفى الحديث القدسى والحديث النبوى
لأنه يمكن القول أنه لفك هذه الرموز عليك بإيحاءات الأسماء والمكان ووصفه ، والزمان الذى

نائمون ... أكثر من ربع العمر ...!!

تتم فيه الأحداث وربطها جميعها بما يقابلها من الآيات والحديث . وهذا بفضل من الله مُجَرَّب لتلك الرسائل التي يكون عليها الخاتم الإلهي . أى التي تكون رؤى صادقة من الله تعالى . وهناك القليل من التراث القديم لبعض أئمة هذا العلم تحويه بعض الكتب القديمة ذات القيمة العظيمة ...

قد يتبادر للذهن أن ما ذكرناه عن الرؤى الصادقة ، إنما لأنه يرتبط بأنبياء ، مثل سيدنا إبراهيم وسيدنا يوسف . ولكن هذا غير صحيح ، لأنه عزيز مصر لم يكن نبياً ، بل لم يكن كتابياً مؤمناً ، وكذلك كسرى فقد رأى فى منامه زوال ملكه وظهور النبى ﷺ ، وفرعون موسى الذى رأى أنه دخل البحر بجنوده فغرقوا ، وكان الأمر كذلك فعلاً .

إذن فالأمر كما قلنا هو إمداد من الله سبحانه وتعالى . واعتبره من عطايا وهابته ورزاقيته . فالرؤيا الصادقة من الله تعالى هى شكل من أشكال الرزق لعبده ، والتي قلنا إنها إما تبشيرية أو تحذيرية أو تعليمية تعريفية . والتي لا يشترط لها أن يكون العبد ذا دين معين . فرزق الله تعالى بتجليات رحمانيته إنما هو لكل عباده . ولكن كل منهم وما يناسبه طبقاً لما هو فيه وما هو عليه . فرزقه كشمسه التى تشرق على المؤمن والكافر ، والشاكر والناكر .

إذا عدت لسابق كلامنا بأول هذا التأمل ، وعندما تحدثنا عن أنواع الأحلام أو الرؤى التى يراها النائم فى نومه ، شملت من حيث الموضوع ... المفرحة والمزعجة والعادية التى ليس لها ملامح المفرحة أو المزعجة ، ولكن مجرد أحداث عادية فى مكان وزمان ما .

وأيضاً من حيث طبيعة التعامل معها ، كان هناك نوعان ، الأول وهو الذى يحدث بحذافيره فى اليقظة وكما رآه النائم أثناء نومه . والثانى الذى يحمل سيناريو معيناً ، ولا يتكرر بحذافيره أثناء اليقظة .

وفى هذا ذهب الرسول ﷺ ... « إن الرؤيا ثلاثة ، فالرؤيا الصالحة بشرى من الله تعالى ، والرؤيا من تخويف الشيطان ، والرؤيا مما يُحدث بها الرجل نفسه » .

وهذا أيضاً ما ذهب إليه أئمة « تأويل الأحاديث » القدامى . وقد تحدثنا عن الرؤية الصادقة التى يبشها الله تعالى لعباده والتى قد تأخذ شكلاً تبشيراً (مفرحاً) أو تحذيراً (مزعجاً) أو تعليمياً (الشكل العادى بلا انفعالات) .

ومن الممكن أن يمر بك أى نوع من الانواع الثلاثة ولكنها ، صادقة ، لأنها ليست من الله تعالى . وبالتالي لا تُفسَّر ...!

كيف ١٢

نائمون ... أكثر من ربع العمر ...!!

إن استغراق الإنسان وإسرافه في استغراقه في ذاته وأهدافها وما يريده ، وتخطيطه للخطط الكفيلة بتحقيق مراده ... إنما يؤدي به لمحدودية نفسه وانغلاقها على ذاتها . لدرجة تخبطها في مراداتها في البقطة وفي المنام . أي أن مثل هذا الإنسان يحيا من أجل نفسه ونفسه من أجل ذاتها وفقط ذاتها ...!

لذلك فهو منها وإليها ... وفيها ... وبها ... ولها ...!! فأصبح لا يرى سواها ، يقطاً أو نائماً ... ! ومثل هذا فرؤياه أو أحلامه لا يعتد بها ، فهي ليست برسائل تحمل مضموناً ، لأنه أسير مرادات نفسه يقطاً ونائماً ، وبالتالي فرؤاه لا تعبر إلا عن تلك المرادات .

المصدر الثالث للرؤيا هو الشيطان ...!

مرة أخرى الشيطان ...!

فهر معك ووراءك يطاردك مستيقظاً أو نائماً ، ولطالما أنك الذي فتحت له الأبواب وأعطيته مفاتيحك ...!

وقد تكون من أهل محبة الله تعالى ، لكنه يسمح بتدخل الشيطان الرجيم ، لك في أحد رؤاك على شكل اختباري تعليمي ، ليُعَلِّمَكَ كيف تعرف صوت الله ورسائله من صوت الشيطان ودسائسه ...!

وقد يكون من أجل أن لا يصيبك الغرور بعبادتك وتقواك ، أن يختبرك الله تعالى من خلال مثل هذه الرؤى الشيطانية التي يسمح هو بأن يتدخل معك فيها الشيطان ، لكي يسمع منك رأيك فيه هو كربٌ إله ...!!

هل ستفهم مضمون الرسالة ، تقول نعم ... أنا مازلت أحارب وبهجب أن أتمسك بربي أكثر وأكثر ... أم تقول مثلما قال بعض الناس في مثل هذه الحالات ... « إزاي ربنا يسمح إن الشيطان يلعب بيّا وأنا نايم ... ده أنا مصلى ... وعامل وعامل الخ » ... إنه للأسف ينطق بلسان حال « كِبْرُ الْعِبَادَةِ » ... أو « كِبْرِيَاءُ الْعَابِدِ » ... وهو مدخل شيطاني آخر ، ينزل في العابد مُعْتَبِراً نفسه قد وصل بما يؤدي من صلوات وأصوام ونُسُكٍ وخلوات ... الخ ، إلى مرتبة عُلْيَا ... !! فاعلم أن صاحب المقام أو الرتبة العالية ... إنما هو مُبْتَلَى بأعظم مُنْزَلَةٍ ... ألا وهو خطيئة اللعين إبليس شخصياً ... « خَطِيئَةُ الْكِبْرِيَاءِ » ... « اسْجُدْ » ... « لِمَ أَكُنْ لَأَسْجُدْ » ... أي لست أنا الذي يسجد لمثل آدم ! ... ولماذا ... « أنا خير منه » ...!!

نائمون ... أكثر من ربع العمر ...!!

إنها إذن خطيئة السالكين في الطريق ...!!! وليست خطيئة المتقاعسين عن العبادة ...!!!

إنها إذن ... عبارة عن حروب مسموح بها - من الله تعالى - لاختبار تواضعك مع ربك كعبد ... ولتقوية إيمانك ... ولتدريب حواسك على التقاط أية آثار شيطانية خبيثة قد تحوم حولك ... بأى شكل وفى أى وضع وفى أى وقت ...

وحيث أن الله تعالى عالم بإحاطته ماذا سيفعل الشيطان معك ، وعالم أيضاً أنك بمرحلتك التى تقف فيها ، ستعلم أن هذا الحلم شيطانى لأنه يعلم تماماً أنك تعرف رسائله الإلهية ، وتستطيع تمييزها ، وبالتالي فليست كارثة أن ترى حلماً شيطانياً لكن العبرة باستفادتك بما سمح به الله لك لتعليمك .

يا سبحان الله ... يسمح بتدخل الشيطان معك فى رؤيا منامية ، رحمة بك ولمصلحتك ... ولتوجيهك ولتقويتك ...!!

يا سبحان الله ، يستخدم لك عدوك لتعليمك وتدريبك وتقويتك ، نعم ... فالكل ... أدوات لمشيئته سبحانه وتعالى .

ولكن لكل نفس شاكلتها وكما هى فى اليقظة هى فى المنام ، وهى كما كانت قبل أن توجد حتى على الأرض ...!

والنفوس الخبيثة هى التى يلعب معها الشيطان دوراً فعلاً فى يقظتها ومنامها . مع أن أصحاب هذه النفوس فى الحقيقة لا تلاحظ أنهم غير عاديين ...!

وكما أن الشيطان هو صديقها الحميم فى اليقظة ، هو أيضاً مُستقبلها وراعيها فى المنام ...!

والرؤى التى مصدرها الشيطان الرجيم نفضل أن نسميها .. « الأحلام » . والأحلام شيطانية المصدر - وكما ذكرنا فى تأمل حروب شيطانية - ليس من السهولة أن تكتشف حقيقة مصدرها ...!

فهى خطط ومؤامرات طويلة المدى . والشيطان اللعين يمكنه أن يتمثل بأى شئ وفى أى شكل - من خلال الأحلام - بما فيهم الأولياء الصالحون والقديسون . لكنه لا يستطيع التمثيل بالأنبياء والرسل .

نائمون ... أكثر من ربع العمر ...!!

ولنتنظر معاً بعضاً من أساليبه ...

قد يرى الشخص في حياته كلها ... وأثناء نومه أحلاماً ليست بالكثيرة ...
بمعنى لا يرى كلما نام حلماً ، ولكن على مراحل زمنية متفرقة ... ولكن الغريب أنه
كلما رأى حلماً كان هذا الحلم فيه موت شخص أو وقوع أحد أصدقائه من الشرفة ... أو
مرض أحد والديه أو تحطيم سيارته ... !! وكل ما يراه يتحقق كما هو ...!!
أى هناك نوع من التخصص في الحلم وهو « النوع المزيج » وأصحاب مثل هذا الحلم
يتخليون أنهم من الأولياء أو القديسين الصالحين ...!!!!

لكنه في الحقيقة الشيطان ، فإن الشيطان إن جردته من كل الروش والمسايق المفتعلة
التي يستخدمها ... كناصر ... وكصديق ... وحريص عليك ... الخ . إن جردته من كل
هذا تجده يريد الإطاحة بك ، لسببين ذكرناهما سابقاً ... وهما أن جده الأكبر - قاتله الله -
ناصر آدم وكل أبناء آدم العداء وطرد بسبب ذلك من الجنة ، والسبب الثاني أن كل
الشياطين تعتبر أن لها حقاً تاريخياً في الكرة الأرضية كمزاعم حق اليهود في فلسطين ،
لأنهم كانوا هم أول من سكن الأرض قبل خلق آدم واستعمار ذريته لها ! إذن فالعداء
حقيقي ومتأصل ، ولكننا نتوارى من تلك الحقيقة ، ويعبارات متكررة ... معقولة ...
أنت بتصدق الحاجات دى ...!!

هل تتخيل أن مثل هذه الأحلام مصدرها الشيطان ..!

كيف ؟! خاصة وأن الحلم يتضمن أحداثاً مستقبلية لم تتحقق بعد ..!

... أولاً هذه النوعية من الأحلام تحمل أحداثاً مستقبلية قصيرة الأجل جداً ...
والشيطان هنا عندما أخبرك ... إنما أخبرك بما يُحزنُك ويُتَعَسِّكُ ولتعيش به مهموماً قبل
حدوثه ، ناهيك عن أثره عليك بعد حدوثه . وبمنطق آخر ... « انتظر البلاء ولا
وقوعه » ..!

فهو يريدك حزيناً مهموماً تعيش خائفاً أطول فترة ممكنة وهذا أحد أهم أدواره معك .
« إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه » .

أما عن كيفية إبلاغك بالحدث قبل حدوثه ، فهذا بسيط جداً .

... إن هناك ما يعتبر غيباً محضاً وهو الذى يحتفظ به الله سبحانه وتعالى . وهناك الغيب
المعلوم والذى يعلمه آخرون وإن كنت لا تعلمه أنت ...!!!!

فمثلاً لو أن لك قريباً بأحد السنوات الدراسية ، واستطعت أن تحصل له على نتيجته
من الكنترول وعلمت أنه راسب . إذن فكونك قد دخلت الكنترول وعلمت النتيجة ، إذن
فهو لك معلوم وليست غيباً .

نائمون ... أكثر من ربع العمر ...!!

ولكنك لم تُخَيِّرَ قريبك بما علمت ، إذن فهي غيب بالنسبة له ، لكنها « أمر معلوم » بالنسبة لآخرين ... أنت ... وَمَنْ بالكنترول ... الخ .

إذن فهي بمثابة « الغيب المعلوم » . هي لقريبك غيب ، لكنها لآخرين أمر معلوم .

... وهذا هو تمام ما حدث مع الشيطان والأحلام التي بثها لصاحبه أو لصديقه أثناء نومه . فمثل تلك الأحداث التي لم تحدث علي الأرض فعلاً نزل علمها للسماء الدنيا و تناقلتها و تكلمت بخصوصها الملائكة ...! و لتعتبر أنت أن هذا هو الكنترول الذي يحتوى على المعلومة ... والتي لم تعد غيباً محضاً ، ولكنها فى نطاق الغيب المعلوم . لكنك أنت أو من سيصاب بهذا الحدث لم تعلموا بعد ، لأن الحدث لم يحدث أصلاً .

أنظر ... إنه يضرب عصفورين بحجر واحد ، أولاً يوحى إليك أنك أحد « المكشوف عنهم الحجاب » ...!! لأن ما تراه يتحقق ...!

ثانياً يجعلك تعيش فى الأحداث المأساوية وبما ينطبق عليه ... « قبل الهنا بسنة » ... لكى يضمن لك أطول فترة اكتئاب وهموم وأحزان ممكنة ... انظر لحجم المحبة ...!

ومثل هذا الشيطان ... محترف شيطنة وأبلسة والعباد بالله وليس من النوع البسيط ولكن من ذوى القدرات فى عالمهم .

انظر لنوعية أخرى من الأحلام ... والمقصود بها التخويف أيضاً والإفزاع النفسى لرائيها ... بالرغم من كونها لا تتحقق هذه المرة ...!

قد يرى أحد الأشخاص نوعية من الأحلام كلها على شكل مفزع كأن يرى نفسه يُضْرَب دائماً من هو أقوى منه . أو يرى أشكالا مخيفة . أو يرى أنه يُلْقَى به من فوق جبل مثلاً . أو يرى بعضاً من الحيوانات المتوحشة تفتسه ... إلخ .

كل هذه رؤى أو أحلام ... سيناريو ... وحوار ... وإخراج شيطانى ، وإن كان نفس الشيطان فى الصباح يتودد لك بالهمس فى أذنك على طريقته المعتادة ، ولكن متى كان معك حيث لا إرادة لك أثناء نومك ... كان كما يحب أن يكون معك على حقيقته .

قد يرى بعض الزهاد والعُباد أصحاب التقوى أيضاً - كما ذكرنا - أحلاماً شيطانية ، ولكن بما يناسبهم هم ...!

نانمون ... أكثر من ربع العمر ...!!

مثلاً يُظهر الشيطان هذا الزاهد أو العابد أو الشخص الصالح ، فى صورة من يتم تكريمه من الكلّ ، ويرتدى من الثياب ما لم يحلم أن يرتديه ، ويتقلّد من الجواهر ما لا يمكن تخيله ... ويرى من يقول له مثلاً ... إنك عابد مخلص لربك ... وهذا مقامك عنده ... إنك من أحبائه .. أى أحباء الله تعالى ... ما المقصود بذلك ...؟!

المقصود طبعاً إصابة نفس هذا العابد أو الصالح بالغرور الشيطاني المدمر ، ولكى ينصرف بقلبه عما هو فيه ، ولكى يهبط مقامه الحقيقى - والعياذ بالله - عما هو عليه الآن .

وللأسف هناك البعض الذى لا يفهمها ، وتجربى فى نفسه لتعصف وتطيح بها ، كما إراد له عدوه ...!

قد يرى بعض العلماء رؤى أو أحلاماً شيطانية تضليلية ...؟
فالعالم هنا أخطر من الشخص العادى ، لأن له أتباعاً وتلاميذ وجمهور قراء ومستمعين ... بالتالى ... فالكارثة أعظم ...!

ولكن الشيطان هنا ذو درجة دهائية وعلمية تفوق الوصف ...!
... لأنه مكلف بعالم ، إذن يجب أن نتوقع أن يكون على هذه الدرجة ، وإلا لن يستطيع النفاذ إليه .

فمثلاً قد تكون هناك مشكلة عقائدية تراءت لهذا العالم وتؤرقه فيرى فى نومه أن شخصاً يبدو عليه الوقار والهيبة يتحدث معه وكأنه أكثر منه علماً وقيمة ، وكأنه جاء ليُعلّمه ، أى ليُعلّم هذا العالم ... ! ... ويفتح معه النقاش فى نفس الموضوع الذى يؤرق هذا العالم . وليبث له السّم وسط جملة فى الحوار وتكون هى المقصود بعينه .

ويستيقظ مثل هذا العالم وهو متخيل أنه قد عثر على كنز ، أو كأن جاءه أحد الأنبياء ودّرّس له وأفهمه وحلّ له مشكلته ...!

وخاصة أنه لمثل هذا العالم من يتبعونه من الجمهور العادى والذين يحتاجون علمه . وانظر فى مثل هذه الحالة لحجم الضرر ... إنه قاتل ..! ولو أن نور الله وهده مع مثل هذا العالم ، سيُبصّر بالحقيقة ، قبل وقوع الكارثة وانتشار الفكر الشيطاني على أنه فكر عقائدى مثلاً . وسقوط الآلاف ، بل والملايين فى براثن هذا الفكر الشيطاني المُلقّق ، وتوارثه جيلاً بعد جيل ...!

نائمون ... أكثر من ربع العمر ...!!

شكل آخر من أشكال الإغراق الشيطاني أثناء النوم .

وهو صرف الناس عن ربهم لعبيده ...! واتخاذهم هؤلاء العبيد شفعا لهم ...
أولياء ... وقديسين ...!!

تجد مثلاً من يقول لك ... رأيت الولي فلان فى نومى وقال لى ... لو عايز إبنك
يخف ... اعمل كذا وكذا وكذا ... روح فى مقامى وادفع كذا ... واشعل شموعاً لونها كذا
... الخ . أو يقول لك رأيت القديس فلان ... لابساً كذا ... « وطبطب على » وقال لى
« ما تزعلش يا بنى ... هى بنت حلال ... والشيطان راكب دماغها ... حروح لها
واخليها ترجع لك ...! بس روح فى الدير عندى وولع الشمع » ...!!

والغريب أن صاحب هذه الرؤيا أو هذا الحلم يفعل ما طلب منه والأغرب أن النتيجة
إيجابية ...!

كيف ذلك ...؟!

ببساطة شديدة ... وبعد ذهاب الشخص وتنفيذه لما هو مطلوب منه ، من الممكن أن
يجد أن ابنه قد شفى ...! كيف ...؟! وهل يستطيع الشيطان أن يشفى أحد من مرضه ؟!
لا ... الشافى هو الله تعالى ، ولكن لكل شئ سبب . ومن أدرى هذا الشخص أن علة
ابنه أو مرضه عضوية . بمعنى أن الكثير من الأمراض غير العضوية والتى تتسبب فيها
الشياطين - فى توافر ظروف مواتية لذلك وليس مجال الحديث عنها الآن فى هذا المقام -
تأخذ أعراضاً عضوية ... مثل عدم انتظام ضربات القلب ... أو تحريك بعض الأعضاء
بصعوبة ... أو الاكتئاب ... أو الشلل النصفي غير الحقيقي ... أو عدم ثبات الحمل عند
بعض السيدات ... أو عدم حملهن مع عدم وجود عوائق علمية أو عضوية ... الخ . نعم
باقتراب الشيطان من الانسان أكثر من اللازم وتداخله معه فى حياته ، تبدأ حياة الإنسان
فى التدهاى والتفسخ إن لم يكن للإنهيار والعياذ بالله .

وعودة للأحلام شيطانية الصنع والجوهر ، نقية الشكل والظاهر ..! ولما رآه الشخص
من أن الولي فلان قال له ... افعل كذا ... ففعل ... كى يشفى ابنك ... فشفى ... إن
مثل ذلك الحلم ... وبعد شفاء الطفل الذى كان مصاباً بمرض غير عضوى ، ولربما كان
الشيطان الذى مثّل هذا الحلم وظهر لأبيه هو نفسه المتسبب فى إيذاء ابنه . فما الذى

نائمون ... أكثر من ربع العمر ...!!

استفاده هذا الشيطان بعد أن فعل الأب ما طلب منه . أولاً ... الشيطان انصرف عن الابن فعاد الابن لطبيعته ... وحتى هنا لم يستفد الشيطان من الشموع التي أشعلت شيئاً ولا من النقود التي وضعت في صندوق الزكاة أو النذور بذلك الجامع شيئاً ... ولكن لتتابع معاً حوارهم الثاني مع الشخص الآخر ... ولنستخلص النتائج في النهاية . لقد استيقظ الشخص الآخر وهو يقول « جاءني القديس فلان لابساً كذا وقال لى أعمل كذا وكذا ... وحقق لك مراتك وأرجعها لبيتها ... » !

وكالمعتاد وبعد أن يقوم الشخص بفعل ما هو مطلوب منه ، يجد أن زوجته تبادر بالاتصال به والاعتذار له ، وأنها نادمة عما قالت وفعلت .

ما هذا ...؟!

أيلعب الشيطان دور المصلح الإجتماعى ... نعم ... متى اقتضت الضرورة ...!

كيف ...؟ ولماذا ؟

أولاً ... كل ما فعله هذا الشيطان أنه ذهب لزوجته الشخص ، وهمس في أذنها بالحاح وإصرار ومطاردة ، وهى تستمع وكأنها تراجع نفسها عما بدر منها تجاه زوجها وأولادها ... ولربما كان هذا الشيطان نفسه هو الذى أقنعها قبل ذلك بترك زوجها ...!

ولكن هذه المرة أصلح بينهما ... لماذا ؟ وما استفادته ؟ خاصة وأن ما فعله الشخص هو ذهابه لدير كذا ... وفعل به كذا وكذا وكذا ... أى أنه سواء فى المرة الأولى مع الشخص وابنه ، أو فى المرة الثانية مع الشخص وزوجته ، لم يحصل على استفادة صريحة !!

نعم ... لم يحصل حتى الآن على استفادة صريحة من كل ما حدث ، لكنه فى الأجل الطويل ... قد ضمن أن الشخص الأول متى وقع فى أى ضائقة سيتوجه بعقله وقلبه مباشرة للولى فلان ... وضمن أن الشخص الثانى أيضاً مع أية مشاكل تواجهه ودون انتظار لأحلام سيتوجه بقلبه وعقله لدير فلان للقديس فلان ... ويبدأ كل منهما يطلب من الشيخ فلان والقديس فلان كل شئ . ليس هذا فقط بل سينصح كل منهما أقباءه وأصدقاءه ، بالتودد والتقرب للشيخ فلان والقديس فلان ... إنتظاراً للمعجزات الإلبسية ...!

نائمون ... أكثر من ربع العمر ...!!

إن الناتج النهائي هنا يفوق الوصف ، فقد اتجه أشخاص بمحض إرادتهم لبشر يسألونهم الشفاء ، والصلح وإنجاب الأطفال ، والنجاح فى الأعمال ، وتليين قلب فلان ، والانتقام من فلان ... إلخ ...!!

إنه ناتج بشع ... وهو تحويل قلوب الناس وأنفسهم لغير الله تعالى ، لأناس لا يملكون لأنفسهم شيئاً . بل والترويج لذلك من خلال نشره فى مؤلفات تسمى « كتب معجزات » ولئن تحدثت مع أى من هؤلاء المعتقدين فى الأشخاص ... سيقول لك ... يا أخى ... أنا بطلب من ربنا ببركته وشفاعته يقصد ببركة شفاعته الولي أو القديس ...!!

إنهم بذلك يخلطون بين هبات الله الربانية وبين الأفعال والأحوال الشيطانية . والفارق بينهما شاسع ... وهناك الشكل الشيطاني الرائج من الأحلام ... وهو أن تستيقظ وأنت غير متذكر أى شئ على الإطلاق . ولكن كل ما أنت متأكد منه أن رأسك ستنفجر ...!

ثق فى ربك واطلبه دائماً ... يضع أعدائك تحت قدميك ...!

.....

.....

● التأمل الثالث عشر ●

—■ ورقة عمل الخليفة ■—

تَأَدَّبْ مَعَ رَبِّكَ اللَّهُ وَأَحِبَّهُ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ ...

ولتعلم أنه خلقك محبة ... ليعطيك ... ولم يخلقك كراهية ليشقيك ... عظم قدرك في الكون ... وسخر لك ... منافع كل ما في أرضه وسماواته .

سلطك على كل صنعة يديه ، علمك ما لم تكن تعلم ... جعلك خليفته في أرضه ... لتفكر عليها شرائعه وأحكامه ... أنت خليفة ربك في أرضه ... فاشهد له بما يليق به ...

إشهاد أنه لا إله إلا هو ربك الله ، خالق كل شيء ، مدبر كل شيء ، مُصَرِّف كل شيء فاعل كل شيء ، رب كل شيء ، بيده ملكوت كل شيء ، إليه يحتاج كل شيء ، ويدونه يفنى وينهار كل شيء ، وهو المستغنى عن كل شيء وأحد .

اشكركه أن أوجدك فيما أوجدك فيه ، ثق في حبه لك ومطلق عدله ، وأنت باختيارك أردت ، وأنت لو اخترت الآن مرة أخرى - وأمامك كل المعاني والبدائل والمتغيرات والممكنات - لاخترت ما أنت فيه كأفضل ما يكون الاختيار ، ثق في رحمته وحكمته ، ثق في أنك عبده الذي أحب ، فكرمك بما يليق به كرب إله . كرمك بخلافته وسيادتك على أرضه ، وثقته في حملك أمانة شرائعه .

أحاطك بفيوضات رحماته من أرضه وسماواته ، وجعل منك أهم ما خلق ، وكل مخلوقاته ما يرى وما لا يرى يحترمونك كسيد ، لأنك خليفة الله الذي قد سيده الله تعالى على كل شيء .

فاشهد له بما يليق به ، اشهد له أنه الذي .. « ليس كمثله شيء » ، وقدره حق قدره ومقداره العظيم .

ولا تخلط بين ذاته وأفعاله . فذاته ... من .. « ليس كمثله شيء » ، أما أفعاله - ما نعرف وما لا نعرف - لا تحيط « بالذات » ولا تجعلها أمراً مقروءاً .

بل أن كل تجليات الفعل حولنا - ما نرى وما لا نرى - إنما تشير إلى « القدرة » وأن صاحبها « فعال » ... أي يفعل أي شيء باقتدار ، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، وكل ذلك لا يقرأ حرفاً مفهوماً عن « ماهية الذات » ، وإنما يشير إلى إطلاق القدرة الفعالة .

وما ينطبق على « الأفعال » ينطبق أيضاً على « الأسماء » و « الصفات » لأن الأسماء والصفات ، إنما هي من اشتقاقات الأفعال أو تسمية أو وصف الحال .

ورقة عمل الخليفة ...

وبالتالى ، فلا الأفعال ولا الأسماء ولا الصفات تحيطك علماً بـ « الذات » . فأرِح نفسك ... وصِفْ ريك بما يليق به ... « ليس كمثله شيء » .

لا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئاً وَلَا أَحَد . فَالشِّرْكُ الْأَكْبَرُ . والعياذ بالله - أن تشرك معه فى العبادة شيئاً أو أحد . مثل من يشرك الشمس مع عبادته لله ، أو من يشرك شخصاً تحت أى مسمى مع الله . فمثلاً الدعاء من أركان العبادة ، وتوجهك بالدعاء والطلب ممن هو غير الله ، هو إشراك فى توجيه وجهك وقلبك بالعبادة .

يستوى فى هذا من يطلب من « الولي » أو « القديس » فلان ، مع من يتجسراً على « ذات الله » ، بالكلام عن وصفها أو جوهرها ، وأنها تقوم على صفات ذاتيه كذا ، .. كذا ... ، ويتم الحديث عن « كل .. كذا » على انفراد ، حتى وإن جمعهم هذا المُحَلَّل لذات الله فى أنهم جميعاً « كذا ، وكذا ... إلخ » هم فى مجموعهم وجوهرهم الله ، فقد أشرك بربه ، لطالما يخاطب الله ويعبده وفى ذهنه وفى نفسه ، أن الله تعالى ... عبارة عن ... أو يتركب من ... أو تقوم ذاته على صفات كذا ... !!!

وأعطى لنفسه الحق أن يتكلم عن كل « مُكَوَّن » على انفراد ... أن اسمه كذا .. ويفعل كذا وكذا ... وهذا المكون موجود زمنياً مع المكون الآخر منذ ... !!

لن يلغى الشرك بالله - هنا - أن يقول هذا المحلل لذات الله ، أن كل هؤلاء هم الله الواحد ! ... لقد تجسراً هذا المحلل على « ذات الله » .. الذى « ليس كمثله شيء » ... وأهبطها إلى إمكانية التحليل ، وفعل الأفعال ، وتسمية الأسماء ، ووصف الصفات ، وإدراك العقول ...

أهبطها بذلك إلى مستوى الأشياء ، وإن قال أنزه الله تعالى عن التشبه بشيء ، فهو ينزه الله عن كل شيء ما عدا ، تحليله لمكوناته وتسمية كل مكون وتخصص فعله ... !

نقول له ... لا ... نزه الله عن كل شيء بما فيه « تحليلك لجوهر ذاته » ، تكون لحظتها عابداً لله الواحد بحق .. ! وسبحان ريك رب العزة عما يصفون .

.. « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » .

..... (النساء : من ٤٨)

كان ذلك بخصوص « الشرك الأكبر » ، والذى لا يغفره الله تعالى أبداً ، إلا لو تخلص صاحبه عما هو فيه ، وأسلم وجهه لربه الواحد بلا شريك ، واستسلم له .

ورقة عمل الخليفة ...

أما عن « الشريك الأصغر » فهو أن تفعل الفعل - أى فعل - تضرب به عصفورين بحجر واحد .. ! .. فأنت مثلاً تخرج صدقة لمحتاج ، وتحب أن يراك الناس وأنت تفعل ذلك مع أنك .. فى حقيقة الأمر تريد أن تساعد هذا المحتاج لله ودون مقابل منه - من المحتاج- إلا أنك أردت بعملك ... « شريكاً من المستحسنين » ... الله تعالى ... والناس ، لكى تكون من منظورهم مثلاً لرجل البر والتقوى .

هذا هو « الشريك الأصغر » ، والله تعالى يقول لك ... أشركت معى غيرى فى عملك وأنا أغنى منهم ... فلهم ما عملت ... وسيقولون عنك ... أنك رجل جواد وكريم ... لهم ما عملت ... أنا أغنى الشركاء ... ولا أحتاج لما عملت أنت ... لهم كاملاً كل ما عملت ... !

إذا عملك يجب أن يكون لى وحدى ... لوجهى ... لا تقصد به سوى ... وإن كان كذلك ... ستجده عندى ...

ربك عند ظنك به ... فأحسن الظن بربك ... تشملك فيوضات رحماته .

وليمك قلبك بربك ... فهو سبحانه الذى لا تسعه أرضه ولا سماواته ، ولكن يسعه قلب عبده المؤمن . املاً قلبك بربك تكن هذا المؤمن ... والذى هو أرحب من السماوات والأرض وأكبر .

فَكَّرْ ... وقرّرْ ... !

من هو المستحق الحب .. ؟

إن أحببت أباك وأمك وابنك ونفسك ... فحبك له أولى ... !

فهو الذى أعطاك ما أعطى ... الأب والأم والإبن والنفس والأخ وما تأكل وما تشرب . أعطاك نفسك ... ووجودك ... ومن حولك ... وما حولك ... وسلم لك كل شئ ... ولم يسلمك لشيء .. !! ... أو ليس حبك له أولى ؟ !

إن كنا نحب ونتعلق بمن نحب لأسباب فما هى أسباب الحب ؟ !

أتحداك ... أنك تحب العطاء ... وتحب الذى يحبك ... وتحب من يخاف عليك ... وتحب من يغار عليك ... وتحب من يستمع إليك ...

إنه العطاء الذى أعطاك ويعطيك وسيعطيك لأنه يحبك ولا يرضاك لما لا يليق بك ، إعزازاً لك وغيره عليك .. وهو الذى يستمع إليك فى شكواك وحاجتك .. ويدبر لك الأمر من السماء ... وهو الذى يعطيك كل الذين يحبونك فيغدقون عليك مما أعطاهم هو لك ... فتحبهم هم ... وتنسى من حبه لك أعظم ... ! وهو الذى يقول لك ... إن أتيتنى تمشى ... أتيتك هرولة ... !

ورقة عمل الخليفة ...

سبحانك يارب ... إن أتيناك نمشى ... تأتينا هرولة ... !

حقاً ... إن فى هذا لكشف عن سر الأسرار ... !

أثذا مشينا لرب العزة جل شأنه ... أتاها هو يهرول ... !

ومن نحن ... ومن هو ... !!

إن سر الأسرار ، إنما يكمن فى « **علاقة الحب** » التى أوجدها وبدأها هو جل شأنه ...
بينه وبين عباده ...

ومن ناحيته - عز وجل - فقد أظهر حبه منذ أن قَدَّر الخلق وأظهره ، ومروراً بكل شئ ...
ووصولاً لما نحن فيه ... ووعوداً لما يحب هو - جل شأنه - أن نكون - نحن - فيه
وعليه ... فى النهاية ... !

أظهر هو - تعالى - ويظهر ... ووعد بإظهار تجليات هذا الحب الأعظم منه لنا ...
... ولكن الخلل ... كل الخلل ... أن تكون علاقة حب من طرف واحد ... !

بل يجب أن يكون الحب هو الدافع للعبادة فتكون « **عبادة حب** » أو « **الحب المودى** »
« **إخلاص العبادة** » ... لا أن نكون كأجراء السوء ... الذين يعملون عند سيدهم انتظاراً
للأجرة ... !!

بئس العبد ... ذلك الأجير ... !!

وإن لم تكن تعلم بهول الحب ... والذى بالضرورة ... لا بد وأن يتناسب مع عظمة وقدر
المُحِبِّ « **جل شأنه** » . فلك أن تتأمل وتتفكر

... ولك أن تتخيل كيف يحب من أظهر الحب وأعطى منه لعباده ... به يتحابون ... !
... ولك أيضاً أن تتخيل أن المَعْدِيَّين منه فى النار لسوء ما فعلوا ... إنما قد أساءوا إلى
حبه ... ومن أجل عِظَم حبه ... وعلى قَدَر عِظَم حبه سيكون عِظَم عِذابته ... نعم ... حتى
عِذابته للأشقياء ... إنما سيكون بسبب فرط حبه لهم ... !!

وانظر لمضامين الحب ... والتى هى سر أسرار علاقة ربنا الله تعالى بعباده ... وانظر
لعتاب المُحِبِّ العظيم ... لأحبائه ...

« **ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحبِّ الله ، والذين آمنوا
أشدَّ حباً لله ...** » (البقرة : من ١٦٥)
« **فسوف يأتى الله بقوم يحبُّهم ويحبُّونه ...** » (المائدة : من ٥٤)

ورقة عمل الخليفة ...

بالإضافة للعديد ... والعديد من آيات الحب والمودة ... والترغيب ... الملئ بها القرآن العظيم ... والتي قد نطق بها كل أنبياء الله تعالى ...
وها هو سيدنا المسيح ﷺ ... حين سُئِلَ عن الوصية العظمى فى شريعة التوراة ... قال ...

... « تُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ فِكَرِكَ ... هذه هى الوصية الأولى والعظمى ... » (متى ٢٢ : ٣٧ ، ٣٨)
وقد قَدَّمْ لَنَا رَبُّ الْعَزَّةِ جُلَّ شَأْنِهِ أَعْظَمَ آيَاتِ الْحُبِّ وَالْمُودَةِ ... مِنْهُ لِعِبَادِهِ ... وهو مَنْ هُوَ ...!!؟

وقد وعد بالأعظم والأعظم ... ولكن هو - تعالى - قد قَدَّمْ بالفعل ... أما نحن ... فدورنا أن نثبت أننا جديرون بهذا الحب ... بحب يليق بعظمة وجلال المحبوب - جل شأنه - ومن خالص قلوبنا ... وأعلم أنه لا يستفيد بعملك أو بحبك ... بل أنت المستفيد ...
ومهما كنتَ فى أى خطوة ... على خريطة مسارات وأداءات حياتك ... حتى وإن كنت تقف فوق كل جبال المعاصى والخطايا ... فاعلم أنه - جل شأنه - من أجلنا قد سَمَّى نفسه الغفور الرحيم ، وهو يفرح بـرجوع عبده التائب إليه ، بأكثر وأعظم من فرحة الأم التى عاد إليها طفلها بعد أن طال فراقه لها ... ولئن أتيتته تمشى ... سيأتيك هرولة ...!
... وسيقبلك مهما كان فعلك الذى فعلت ... تذكر أنه من أجلنا قد سَمَّى نفسه الغفور الرحيم ...

عُدْ إِلَيْهِ صَادِقاً ... وانعم فى قربه بتجليات وإشراقات فيوضات الرحمن الرحيم الغفور الودود ...

واصنع من نفسك ... ما يليق بأنك المحبوب من رب المحبة جلَّ شأنه ... وبما يليق بأنك مُحِبُّ الصديق ... « واسْتَقِمُّ كَمَا أَمَرْتُ ... » ... وهذا هو جوهر الاستقامة ، وتهيئة لترشيدها بمنهج الشرائع ... « كَمَا أَمَرْتُ » ...
يارب لكى نكون المستحقين لحبك ... وجَهَّتْنا بوجهك لوجهك ... وَطَهَّرْ قلوبنا من كل شىء ... لنكون أهلاً لك ... ولحبك ...

إِسْتَسْلِمْ لِرَبِّكَ جَدِّ نَفْسِكَ وَاسْتَغْفِرْهُ وَتُبْ إِلَيْهِ عَنْ كُلِّ أَيَّامِكَ تَجِدْهُ غَفوراً تَوَاباً رَحِيماً .

ورقة عمل الخليفة ...

وأعبده حباً ... لأنه المستحق وحده محبتك ... صلّ محبة فيه ، زكّ محبة فيه ، صمّ محبة فيه ... إسمح لنفسك بما سمح لك ، وانتبه عما نهاك عنه ... ليس لأنك يجب أن تفعل ولا تفعل ، ولكن لأن هذا هو سلوك المُحبِّين مع مَنْ يحبون ! ...
أطعهُ يَطْعُكَ كُلَّ شَيْءٍ ... وادعُ إِلَى طريقه وعَرِّف الناس به وثقْ في وعده ...
وتوكَّل عليه ... وفَرِّ إليه ... من كل شيء وأحد ...

لا تترك دورك ... أنت مهم ... !

إن كان قد أحبك من خلقك ولذلك خلقك ، وصنع لك ما صنع ، وسخر لك ما سخر ... وأنت خليفته في أرضه ... إذن فأنت مُهمّ ... !
أنت مهم لربك ... ولكل ما حولك ... ولكل من حولك ... أنت ذو قيمة تجهلها ... !

فالكون ... كل الكون ... مجموعات متجانسة من المفردات التي تُكوّن كل منها كمجموعة متجانسة ... « أُمَّة » من الأمم التي خلقها الله تعالى . فالطيور أنواع من الأمم ، والحشرات أنواع من الأمم ، والحيوانات أنواع من الأمم ... إلخ .
وأنت كأحد المُتَميّن لبنى الإنسان مفردة في الأمة الإنسانية أو المملكة البشرية ، وكفرع من هذه الأمة فأنت مفردة في شعب من الشعوب ، وتنتمي لأسرة في مجتمع هذا الشعب . إذن فَهَلْكَ وجود على خريطة الإنسانية ... !

والكون حولنا كما تعلم هو « معزوفة التناغم والتكامل » التي أبدعها ربنا الله تعالى . وكل ما حولنا - ما نرى وما لا نرى ، ما نفهم وما لا نفهم - نحن نتعامل معه ونحتك به تأثراً وتأثيراً .

والله تعالى لم يخلق « زيادات » أو « فوائض مُخلّقة » من مواد زائدة خوفاً على تلفها مثلاً ... !

بل كل ما خلق الله ليس زائداً عن احتياج الكون ، بل من أساسيات الكون ومن مفرداته وأدواته ذات التأثير ، وأيضاً كأحد عناصر وأدوات مشيئة الله تعالى .
كيف ؟

أنت مثلاً « مواطن مصرى » ، تأكل وتشرب وتتزوج وتنجب وتعلم أولادك ، وتعمل بمهنة معينة .

إجلس مرة متأملاً في بيتك ما يحدث ... على مائدة الغذاء مثلاً ...
أنظر للأطباق التي على المائدة وما فيها ... وأنظر ... حتى ... لرغيف الخبز
حلّله .. !

ورقة عمل الخليفة ...

ستجد أن هناك أكثر من ثلاث مهن اشتركت معاً لتحصل أنت على هذا الرغيف ،
ولولاك ... أنت وأسرتك ... وكذلك باقى الأسر ... لما عمل هؤلاء بمهنتهم ... الفلاح ...
الطحان ... المخبز ... البائع ... إلخ .

أنظر لطبق الخضروات ... ستجد اشتراك أكثر من خمس مهن لتحصل أنت عليه ...
ولولاك ... ولولا الآخرون مثلك الذين يطلبون نفس هذا الطبق ... لما عمل هؤلاء
أيضاً بمهنتهم ...

أنظر لأحد مُعلّبات المواد الغذائية المستوردة والتي على مائدة طعامك ، وأقرأ ما عليها
إنتاج مزارع ... كذا ... باليونان - مثلاً - تعبئة مصنع كذا ، إستيراد فلان ... وباعها
لك فلان ... إلخ .

ما هذا أنت تجعل الآخرين يعملون من أجلك فى بلدك وفى الدول والقارات الأخرى ،
مزارع ... ومصانع ... ومُصدِّرون ... ومستوردون ... وبائعون ... إلخ !!!
وأنت كذلك ... ! أنت تؤدى ويحتاج الآخرون لأدائك وتستفيد أنت بثمره هذا
الأداء ... إذن فلك دور محسوس جداً ... تؤثر وتتأثر ... وهو ما عبّرت عنه حكمة
الله تعالى فى محكم كتابه ...

... « وَلَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ
عَلَى الْعَالَمِينَ .. » (البقرة : ٢٥١)

إِذْنٌ فَقَدْ خُلِقَتْ لَتُكْمَلِ وَتَتَكَامَلَ وَتَتَفَاعَلَ ، وَلَيْسَ لِنَفْسِهِ ! ...

... إذن فأنت مُكوّن أو أداة من أدوات مشيئة الله تعالى المُنفَّذة لحكمته فى كونه .
... إذن فأنت أحد العناصر الفعّالة فى هذا الكون غير المحدود ، ووجودك ليس وجوداً
زائداً بل أساسياً ... ويستحيل على حكمة ربنا الله - وحاشاه - أن يأتى بزيادات أو
فوائض غير ذات ضرورة أو قيمة .

راجع أوراقك مرة أخرى ... الله يحبك ... أنت خليفته فى أرضه ... أنت صاحب دور
أساسى فى الأرض ... وهذا الدور يأخذ شقين ، الشق الأول أنك خليفة الله فى أرضه
لتطبيق أحكامه وشرائعه ، والشق الثانى أنك مفردة من مفردات مشيئة الله فى حكمة
« دفع الله الناس بعضهم ببعض » ... والشق الثانى هذا إنما ينطوى على ممارسة حياتك
كإنسان له أهداف وطموح وميول ، يتعلم ، يأكل ، يشرب ، يتزوج ، ينجب ، يشتري ،
يؤجر ، يستأجر ، يفرح ، يحزن ، يمرض ، يشفى ... إلخ .

والشق الثانى لا ينضبط إلا بهيمنة الشق الأول عليه فلكى تنضبط أدائك فى الحياة
جميعها - وكذلك كل الناس - عليك بتطبيق ما ائتمنتك عليه من أحكام وشرائع - كخليفة
على كل أداءات الحياة .

ورقة عمل الخليفة ...

ويعنى تطبيق أحكامه وشرائعه ، فى علاقاتك ، فى أكلك وشربك ، فى معاملتك ، فى أسرتك ... زوجتك ... أولادك ... أبيك ... أمك ... فى عملك ... إلخ .
وليس من تطبيق شرائع الله فى شىء أن تصلى وتصوم وتزكى وتحج ، انفصلاً عن حياتك !!

ويعنى أن نجهدك تطبق ... الصلاة فى وقت الصلاة ... ومن أجل أنها صلاة ... !
والزكاة والحج وأى شكل آخر من أشكال العبادات ، تؤديه كعزف منفرد مع نفسك !
ونجهدك فى باقى أوجه الحياة إنساناً آخر ... !

لا ... إن خلافتك لربك فى أرضه ، إستناداً لشرائعه ، إنما لتنضبط بها حياتك كلها صغيرها ... وكبيرها ... حلوها ... ومرها ... من أول رؤية عينيك للنور صباحاً ... وحتى إغماضهما مساءً ... وحتى آخر لحظة .. بكل ما يمر بين هاتين اللحظتين - من لحظة إستيقاظك إلى لحظة نومك - من أحداث ومواقف وتعاملات وعلاقات وتبادل كلمات ومجاملات واتهامات ... وأدائك لعملك بكل تفصيلاته ...

ليست الخلافة والشرائع ... أن تصلى وقت الصلاة وبعدها ينتهى كل شىء ، أو تصوم تطوعاً - فوق الفرض - وأنت كما أنت لا يُغيّرُ شىء .. !

ولا تنسَ أننا كنا بصدد مناقشة « خلافة الله فى أرضه وتطبيق شرائعه » ، و « دفع الله الناس بعضهم ببعض » ، وقلنا أن الثانية وهى المتعلقة بالتحرك فى الحياة ، والأولى هى أداة ضبطها واستقامتها ...

إنك بسلوكك الذى يعزل « العبادات » .. صلاة .. وصوماً .. إلخ ، عن « شرع الله » ، واكتفائك فقط بممارسة العبادات وبمداومة تحسّد عليها ، إنك بذلك تكون قد أخذت من « شريعة الله » ما يريح « ضميرك » ... وكاعتياد وراثى مثلاً ، مع إهمالك لباقى شريعة ربك ... !

كيف إذن ينضبط قانون « دفع الله الناس بعضهم ببعض » ؟!

إن ما نلاحظه حولنا من تهالك قيم ومبادئ وأخلاقيات وسلوكيات ، إنما مرجعه الحقيقى وجذور خلله ... هو فصل « العبادات » وخاصة التكرارية كالصلاة مثلاً ... عن « شرع الله ودور الخلافة » ، وبالتالى فصل « شرع الله » عن قانون إعمار الأرض « دفع الله الناس بعضهم ببعض » .

حلُّك الوحيد هو أن تُعْمِلَ « شريعة الله » كاملة ، فى حياتك اليومية بكل أدائها وممارساتها ، بما فيها طقوس العبادات المختلفة .

ورقة عمل الخليفة ...

فلا نراك - مثلاً - وأنت موظف بإحدى الجهات الحكومية ، مُفْتَرِشاً « سجادة الصلاة » ... وعلامة الصلاة فى وجهك تبتلع ربع جبهتك ... وبعد فراغك من صلاتك ، يسألك جمهور المواطنين الواقفين فى انتظارك ... أمام مكتبك ... فنجدك وجها عبوساً مُكْفَهراً « يقطع الخميرة من البيت » ... !

لا ... أضبط أدائك ... كل أدائك - دور دفع الله الناس - بريك - أى بحبه ومنهج شرعه - تنضبط وينضبط لك كل شىء ... ولا تنس ياخليفة الله فى أرضه ، أن معك أمانة شريعة الله وآياته ... فلا تنسلخ منها لأنك أمين عليها ...

.. « وائل عليهم نبأ الذى آتينا آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ... » (الأعراف : ١٧٥)

.. « فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ غَمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثُ ، ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ... » (الأعراف : من ١٧٦)

أى أن التارك شرع ربه كمنهج ضبط عام لكافة الأداءات كمن ينسلخ عنه ، أى يتركه ويتبرأ منه - ليس بالقول لكن بالفعل - يستوى حال وعظه وتذكيره مع عدم وعظه أو تذكيره لأنه مُصَرَّ على ما هو فيه . كمثل الكلب سيظل يلهث - أى يُخرج لسانه خارج فمه - سواء تركته أو طرده ... جعلنا الله ممن يستمعون القول ... فيتبعون أحسنه ..

إن أكرمكم عند الله أتقاكم ..

إن أحبكم وأقربكم وأعزكم عند ربكم هو أكثركم طاعة له ، وخشية مخالفته ... حباً وإستسلاماً له ... قبل الطمع فى جنات أو الخوف من نار .

فعين الحقيقة ... أنك خليفة فى أرضه ... ولئن عرفتته وفهمت مكانتك فى كونه ... لكان عين الأدب منك أن تُهرول ... لتراجع عهد خلافتك ...! وتراجع ما أنت حامله من أمانة شرائع ربنا الله جلّ شأنه . غير طامع فى جنة ... وكفاك ما أعطاك ... وبالهول ما أعطاك ... !

لكنه أكرم الأكرمين ... وَعَدَكَ بوعده الحق ...

« إن للممتقين مفازا ، حقائق وأعنائاً ... » (النبأ : ٣١ ، ٣٢)

إذن فشرط كونك باراً فى عهد خلافتك هو تقواك لربك الله .

كيف تكون تقياً؟!

إستسلم له محبة وإجلالاً لقدره ومقداره العظيمين ، إستسلم له ولا تخف ، إنه ربك وراعيك .

ورقة عمل الخليفة ...

خُذْ من يده شرائعه ... وخُذْ من شرائعه ... كل ما وصَّاك به لائقاً بك كخليفته ... خُذْ منها واحتضن مكارم الخلق والسلوك ، هي ثوبك المقبول أمام ربك ، والذي يليق بخليفة الله فى أرضه . خُذْ من شرائعه ... واعرف نواهيه ... كبائرها المهلكات أنبذها من قاموسك صفائرها المتسللات ... انصرف عنها قَدْر ما استطعت .

واعلم أنه ما نهاك عن كبيرة أو صغيرة ، وكان فيها ما يفيدك ... وَحَرَمَك هو منها ! . إنه يعرف مالا تعرف ويرى ما لاترى ، وحكمته نافذة سارية وعلمه محصى محيط . ولو كان فى صغيرة أو كبيرة خير لك لأعطاك إياه . فاهجر ما نهى الله عنه تكن مهاجراً إليه ... !

لا تنسَ إنك تتجه للبداية !

كان ميلادك ... فى يوم كذا ... شهر كذا ... سنة كذا ... حسناً ... هذا هو تاريخ ميلادك ... !!

ويوم رحيلك سيكون هو تاريخ وفاتك ... !

... إذن فأنت مهما بَعُدَ تاريخ وفاتك عن تاريخ ميلادك ، لك بداية ونهاية ، وعمر زمنى أرضى مُحدّد المُدَّة ... !

إذن فأنت « مؤقت » على الأرض ، ولست دائماً عليها . كُلُّنا نعرف هذه الحقيقة لكنها كانت واجبة المراجعة لأهميتها .

لكن ... ماذا عن بعد الرحيل من الأرض ؟! إنه انتظار الحساب ... ثم ... قيامة الأموات فى يوم الحساب ... !

حساب من ؟!

حساب خلفاء الله فى أرضه ... حساب من حملوا الأمانة ... لينظر مولاهم الحق فى أمرهم جميعاً . ثم ماذا ؟!

ثم فريق فى الجنة وفريق فى النار - والعياذ بالله - ... هذا ما نعرفه ... !

ولكن ، ما يجب أن تتأكد من معرفته ونضع فى أذهاننا تحته مائة خط .. !

هو أن أصحاب الجنة ... « أصحاب الجنة هم فيها خالدون » « البقرة : ٨٢ » « لا يذوقون فيها الموت .. » .. « الدخان : ٥٦ » وكذلك أصحاب النار .. « ذوقوا عذاب الخلد » « يونس : ٥٢ » ، و « أصحاب النار هم فيها خالدون » « البقرة : ٨١ » .

ورقة عمل الخليفة ...

أى أنه بعد موتتنا الأولى الأرضية ونهاية عمرنا الزمنى المحدود عليها ، لن تكون لنا مودة أخرى - إن شاء الله - ومعنى أنه بعد بعثنا وحسابنا فنحن خالدون ، سواء أصحاب الجنة أو أصحاب النار .

أى أننا لن نموت مرة أخرى ، وإذا أردنا حساب عمرنا ابتداءً من بعثنا وحسابنا ، سيكون عمرنا « أبدياً » .. أى لا حساب للعمر !

ما معنى ذلك ؟

إن ذلك يعنى ببساطة شديدة ... احتفاظ ريك .. بك .. للأبد .. !
... حياً .. لا يجرى عليك الموت كما كنت فى حياتك الأرضية .. فما إذن معنى احتفاظ ريك للأبد بك حياً ؟

ألا يعنى ذلك أنه ... يحبك بأكثر مما تتخيل أنت ... سبحانه ... ربنا الله
اللهم ارزقنا حبك ... وحباً من يحبك وحباً عمل يُقرب إلى حبك ...
إنك فى عمرك الأرضى تتجه لنهايته ، لكنك نحو عمرك الأبدى تتجه لبدايته ...
لا تنسَ ... فعمرك الأرضى مؤقت ... والكل يتجه للأبدية الصالح ... والطالح ... !
فاخترْ فريقك ... يا خليفة الله ... !

إن كان يرزقك غير الله فأقلق ١٠٠٠

إن كانت أسباب الرزق تعمل منفردة بلا رب يحكمها ... فقد يفوتك الرزق !...
وإن كان العباد هم رازقيك ... فقد ينقلبون عليك ... ويفوتك الرزق !...
وإن كنت أنت الذى ترزق نفسك ... فستفقد يوماً ... قدرتك على كسب الرزق ... وحتما سيفوتك الرزق !...

وإن كان ريك هو الذى يرزقك ، فاسعَ ... وقد تكفل هو لك بالرزق !...
... « وفى السماء رزقكم وما توعدون ... » (الذاريات : ٢٢)

تعلم ... واعمل ١٠٠٠

إن كنت لا تعلم ... فليس ذلك بمشكلة ... يمكنك فقط ... أن تهياً بكل طاقتك كى تأخذ بأسباب العلم ، وتعوّض ما فاتك ...
وإن كنت تعلم ، وتعمل بما تعلم ، تطبيقاً ، وتعليماً لأهل الإحتياج ، فبما علمت قد عملت ... والله يكفيك ...

ورقة عمل الخليفة ...

وإن كنت تعلم ، ولا تعمل بما تعلم ... فمثلك ... « كمثل الحمير يحمل أسفاراً »

(الجمعة : ٥)

ومصيبتك أعظم ممن لا يعلم ... ولأن من لا يعلم عذره أنه لا يعلم ، ولكنك تعلم أو لا تعلم ... لا تعمل بما تعلم ... « فمثلته كممثل الكلب إن حمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ... » (الأعراف : من ١٧٦)

وأنت كذلك سيظل علمك حبيسك ، وتظل أنت تلهث !...

فوربك ... لا يتقى ربك من عباده ... مثل العالمين .

... إنما يخشى الله من عباده العلماء ... « (فاطر : من ٢٨)

... « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون .. » (الزمر : من ٩)

... « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم ... » (آل عمران : ١٨)

... « وتلك الأمثال نضربها للناس ، وما يعقلها إلا العالمون ... »

(العنكبوت : ٤٣)

أنظر ... إن أشد العباد خشية لله هم العلماء . ويضرب الله تعالى الأمثال ويُقرّ أن من يدركها فقط من عباده هم العالمون . وينفى سبحانه وتعالى أن يتساوى من يعلم مع من لا يعلم ، بل أنه كرم من يعلم ... عندما شهد لنفسه بالوحدانية وتلته الملائكة في الشهادة ثم أولو العلم . انظر لمررتهم ... شهد الله ... والملائكة وأولو العلم ...

وإن من القلوب لما استحب العمى على أن يكون بصيرا . أولئك رفضوا أن يعلموا عن ربهم وشرائعهم وعن أنفسهم ... ولماذا هم !...

أولئك كالأنعام بل هم أضل سبيلاً !...

... « قل هل يستوى الأعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور » ...

(الرعد : ١٦)

... « لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون ... » (الأعراف : من ١٧٩)

اللهم نبهنا من غفلتنا ، واجعلنا ممن يعلمون ويعرفون ، ويعملون بما في صدورهم ...

ادعُ إلى سبيل ربك

لو علمت ما يجب أن تعلم عن نفسك وعن شرائع ربك ... فأنت ممن نقول لهم ... « ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن ... »

(النحل : من ١٢٥)

ورقة عمل الخليفة ...

لا تَكْتُم رِبْكَ فِي قَلْبِكَ ، وَتَتَنَمَّ بِهِ مُنْفَرِداً مَعَ نَفْسِكَ ، إِنْ كُنْتَ قَدْ أَحْبَبْتَهُ كَمَا هُوَ أَهْلُ
لَهُ ، فَاطْهَرِهِ عَلَى لِسَانِكَ ، وَادْعُ النَّاسَ إِلَيْهِ بِكَلَامِ قَلْبِكَ وَلَيْسَ بِكَلَامِ لِسَانِكَ !...

إِنْ كَانَ رِبْكَ قَدْ عَرَّفَكَ مِنْ هُوَ ... فَقَدْ عَرَفْتَ رِبْكَ بِرِبْكَ ... وَإِنْ كُنْتَ عَرَفْتَهُ فَقَدْ
أَحْبَبْتَهُ ، وَإِنْ كُنْتَ أَحْبَبْتَهُ ... دَعِهِ يَتَكَلَّمُ هُوَ مِنْ قَلْبِكَ ... بِلِسَانِكَ !...

ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رِبْكَ « بِالرَّقَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ » ، فَلَمْ يَكُنْ بِالْفِظِ غَلِيظَ الْقَلْبِ ، لِذَلِكَ لَمْ
يَنْفُضْ مَنْ حَوْلَهُ ... بَلْ زَادُوا حُبًّا لَهُ . فَلَقَدْ كَانَ عَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ
رَوْفًا رَحِيمًا ...

ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رِبْكَ ... بِ... رَقَّةِ مُحَمَّدٍ ... وَوِدَاعَةِ عِيسَى ... وَحَنَانِ يَحْيَى
وَحِلْمِ إِبْرَاهِيمَ ... وَحِكْمَةِ لُقْمَانَ وَسُلَيْمَانَ ... وَعَذُوبَةِ دَاوُدَ !...

قُلْ لَهُمْ رِبْكُمْ يَحْبِبُكُمْ ... وَلَا تَقُلْ لَهُمْ ... رِبْكُمْ سَيَذِيقُكُمْ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ !...

إِلْتَقِ سَيْفَ مَسْرُورٍ - مَسْرُورَ سَيَافِ أَلْفِ لَيْلَةٍ - وَاحْمِلْ مَحَبَّةَ رِبْكَ !...

... « أَنْ أَخْرِجَ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكَّرَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ »

..... (إِبْرَاهِيمُ : مِنْ ٥)

لَتَكُنْ قَلْبًا مَاشِيًا عَلَى قَدَمَيْنِ ... وَلَتَتَكَلَّمَ مَحَبَّةَ رِبْكَ عَنْ رِبْكَ ...

.. لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ... فَلَا تَكْرَهُ النَّاسَ أَنْ يَكُونُوا مُسْلِمِينَ ... وَمَنْ كَفَرَ فَلَا
يَحْزَنُكَ كُفْرُهُ ...

.. « إِنْ تَكُونُوا تَأْمِنُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْمِنُونَ كَمَا تَأْمِنُونَ . وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ... »

..... (النِّسَاءُ : مِنْ ١٠٤)

... « وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ » (النِّحْلُ مِنْ : ١٢٥)

... « وَقُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ » (الْبَقَرَةُ : مِنْ ١١١)

لِيَكُنْ هَذَا هُوَ مِنْهَجُكَ وَأَنْتَ تَدْعُو إِلَى سَبِيلِ رِبْكَ ، رَقِيقًا بِحُبِّ رِبْكَ ، وَدِيعًا بِمَعِيَّتِهِ ،
نَاطِقًا بِالرَّقَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ، مَظْهَرًا حَقِيقَةَ وَجْهِ رِبْكَ وَإِيمَانِكَ ... وَلَيْسَ « سَيْفُ مَسْرُورٍ »
وَلَا « عُضَلَاتُ السَّوَاعِدِ » وَلَا « التَّشْنِجَاتُ الْجَاهِلَةُ الْمُنْفَرَّةُ » !

رِبْكَ يَحْبِبُكَ ... وَأَنْتَ تَحِبُّهُ ... فَإِنْ أَحْبَبَهُ ... فَإِنَّهُمْ أَحْبَبُوهُ أَوَّلَ مَا أَحْبَبُوهُ فَبِكَ
أَنْتَ ... فَلَا تُنْفَرُهُمْ مِنْ رِبْكَ ... بِنَفْوَهِمْ مِنْكَ !

ورقة عمل الخليفة ...

وليكن منهجك ... « جادلهم بالتي هي أحسن » و « قل هاتوا برهانكم »
 ووجهك مشرق بنور ربك ... لا تنسَ ... برقة محمد ... و ... وداعة عيسى ... و ...
 حنان يحيى و ... حلم إبراهيم ... وحكمة لقمان وسليمان ... وعذوبة داود ... صلى الله
 عليهم وسلم .
 ولكن ... ليعَلَّ صوتك إن هم أساءوا لربك ... ولكن ... أيضاً ... فى حدود
 ما عَلَّمَكَ رَبُّكَ ... وَأَدَّبَكَ ...

طَبَّقْ شَرَعَ رَبِّكَ ... لَكِنْ ... لَا تُشَرِّعْ ! ...

طَبَّقْ شَرَعَ رَبِّكَ ... على نفسك ... وعلى رعيتك ... أسرتك ومع من تتعامل ... ومع
 من تعمل ... طَبَّقْهُ مع كل ما أنت طرف فيه .
 فخلافتك لربك فى الأرض ... فى حيز دورك الذى أنت له وفيه الآن .

فإن طَبَّقْ كل منا شرع ربه فى كل تعاملاته التى هو طرف فيها ، وفى حيز دوره الذى
 هو له وفيه ، وبأسلوب « أدع إلى سبيل ربك » ، إنصلح حال الجميع ، وصاروا جمعاً من
 المتحابين فى ربهم . ولئن تحابوا فيه ... نصره ... أى أعلنوه وأظهروه من قلوبهم إلى حيز
 القول والفعل . عنه يتحدثون ومن أجله يفعلون ... وفيه يتخاصمون ...
 ويتصالحون ... ويتحابون ... ولقد حققت محبته تعالى للذين يتناصرون من أجله . ولكن
 لا تُشَرِّعْ ... ولا تسن السنن ... ولئن اجتهدت فالإلجتهاد أصوله ، وبما لا يُخِلُّ بقاعدة
 شرعية ، وبما يُيسِّرُ شرع ربك ولا يُعَقِّدُه ! ...

فهو سبحانه المُشَرِّع ... ولست أنت ... ولا .. أنا ! ...

ولا نكون - والعياذ بالله - كالذين اجتهدوا بشيطانية نشطة ، فحلَّلوا حراماً ،
 وحرَّموا حلالاً مما رزقهم الله ، افتراء على الله ... وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ ... !

أصمت ... تنطق بحكمة ! ...

تعوَّد أن تستمع أكثر مما تتكلم ... ولئن استمعت ... فإما أنك تعلمت ...
 أو انتقدت ... أو حلَّلت ... أو قارنت ... أو فهمت ماكنت تعلم ولكن بشكل جديد ...
 صمَّتْكَ مَدْرَسَةٌ ... أنت فيها الدارس المتعلم ... من كل شىء ومن كل أحد . صمَّتْكَ
 يُعَبِّرُ عنك بحكمة العقلاء والشيخوخ ، طالما ليس لديك ما تُثَرِّى به . وإن كنت غير مُثَرِّفٍ
 مجلسك الآن أو فى مجلس غيرك ... فلك وقتك ...

حتى وإن جاء وقتك ... فليس لأن تتكلم ... ومعك الميكرفون ... ! فلربما يكون هناك
 من هو أجدر منك للإستحواذ عليه ... كن أكثرهم صمتاً ... تكن ... أعلمهم
 وأحكمهم كُنْ آخرهم ... تكن أولهم ! ...

ورقة عمل الخليفة ...

فالحكمة ... لاتخرج وسط الشرثرة ... ولتلتقط أنت من هذا ومن ذاك ومن هذه ومن ذلك ومن غيرهم تكن لك حكمة .

إذن فصمتك - مؤقتاً - الآن يخبر الآخرين والمتحدثين بأن وراءك حكمة ، وإن كنت مازلت فى طور صياغتها ... فحكمة صمتك أبلغ من قول اللاشىء ... وإن لم يكن وراءك حكمة فأنت حكيم لأنك عرفت كيف تصمت ... وهذا شىء ليس بالسهل ... !
وربك - تعالى - لا يحتاجك ثراثاً ... ولكن حكيماً تجيد أن تدعو إلى سبيله .

لاتتبدل ١٠٠٠

لا تتبدل ... فنحن نريدك كما أنت ... !
لا تغضب ... فحين الغضب أنت آخر ... فقد تبدلت ... !
لا تهزل ... فحين الهزل ... أنت آخر ... فقد تبدلت ... !
لا تحزن ... أسى على مافاتك أو ما راح منك ... فلم يفتك ما كان سيبقى بيدك ... وماراح منك من كان ... أو ... ما كان ... سيخلد أمام عينيك ... لا تحزن ...
فحين الحزن ... أنت آخر ... فقد تبدلت ... لاتفرح أكثر من اللازم بما فى يدك ...
وبما آله ... إليك فلسوف يمضى لغيرك كما أتى إليك ... !
لا تفرح ... أكثر من اللازم ... فحين ذلك ... أنت آخر ... فقد تبدلت ... !
ونحن نريدك كما أنت ... !
فلا تتبدل ... !

حاسبها ... قبل أن يحاسبها هو ... !

حاسب نفسك يومياً وبصوت مسموع ... !
صدقنى ... إن علا صوتك عليها ... سَيرَتها طوعاً لك ... !
وإن علا صوتها عليك ... كنت تابعها ... تجرُّكِ فى ذيلها ... !
أرفع صوتك عليها ... فعلاً ... بصوت مسموع ... جرَّب ... !
كنت تريدن كذا وكذا ... لماذا ؟! ... لن أفعل لك .. كذا ... !
ربنا .. قال كذا وكذا ... ! أنا لن أخالف ربي ... !
إنهرها واقسُ عليها ... - بصوت مسموع - وعودها أن تستمع لك ... !

ورقة عمل الخليفة ...

قل لا ... !

لا ... لعينيك ... إن ... ، و ... لا ... لأذنيك ... إذا ، ولا ... ليديك
لو ... ، ولا لقدميك ... عند ، ... لا ... لرجولتك إذا ولا ... لأنوثتك ...
لو ... إنهمروا النفس وأدوات فعلها ، فقد أعطانا ربنا الله وسائل نهرها وتأديبها ...
سَيَّرَ نفسك ... بآداب شرائع ربك ... وإن قاومتك اغلُظْ عليها إلى أن تنضبط بآداب
ربك

أبديون ماذا بعد ؟!

إن كان الوقت يمللنا ... يضايقنا ، فلأنتنا نطلب من غدنا أن يأتي أسرع ! وإن جاء
الغد ... سيكون كأمس ... وسنطلب غداً جديداً ... وأن يأتي أسرع ...
إننا ننتظر الغد الأخير ... نتوقع فيه الأفضل ...
إنتهى كل غد ... ماذا بعد ؟!
أبدية ... ما بعد أن يقوم الناس لرب العالمين
ليس هناك للزمن حساب ... لا يسرى علينا زمن الأرض
أبديون ... نكون ... تُرى ماذا بعد ... ؟!
يحتفظ بك ربك للأبد ... فأنت صنعة يديه وموطن حبه
أين ... ؟!
حيث ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
أيضاً .. ماذا بعد ... ؟!
لا ...

إن الصانع أعظم ... من كل صنعة ...
فجمال صنعته حيث ما لا رأت عيون ولا سمعت آذان ولا قمت قلوب ...
ليس هو نهاية المطلوب ... !
فجمال الصانع أعظم وأعظم وأعظم ...
فلإشباع مكان ... فمهما تنعمت ... لا بد وأن تشبع ...
التنعيم بلا إشباع ... بكمال جمال الصانع ... هو ما نطلب ...
المُصَوِّر ... هو ما نطلب ... وليست كل الصور ... !

ورقة عمل الخليفة ...

أن تشبع ... ولا إشباع ... أن تفنى فيه ولا فناء ...
أن تتمرد ذاتك على النعيم والتنعيم ... ولا تقر عيناً ... إلا ... بخالق النعيم
والتنعيم!

متعبون .. ثقلوا الأحمال ... لأجل ...!

... أنت الآن فى أحد لجان الامتحان ... بالكرة الأرضية ... تؤدى الإمتحان ... !
... هذا هو الإمتحان العام لكل البشر ... ولكن .. أين خصوصيتك ؟
... فالكل يولدون ... ويكبرون ... وينجبون ... ويرحلون ... الكل يبدأ
وينتهى ... أنت ماذا عنك ؟
أُستعدّ أنت لاختبار الخصوصية ... لاختبار المستوى الرفيع ... ؟! فلطالما أنطوت
نفسك على بصيص من النور ... ثق أن رحمت ربك لك بالمرصاد !... " **وَبِعَلَّمَ اللَّهُ
فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمِعَهُمْ** ".
نعم .. ستطاردك رحمت ربك إلى آخر لحظة ... لكى تزيد وتكبر رقعة النور ، حتى
تنضج أنت بالنور ...

وكما استخلص أنفَس المعادن من كل الشوائب ... كما استخلصها بالنار ،
كذلك تُستخلص « نفوس النور » ... ، وتلك هى اختبارات الخصوصية والتفرد ... أن
تدخل أنت أتون الاختبارات الخاصة من ربك تعالى ، ليستخلص نفسك له ، وليضمك
لعالم النورانيات فلا تشتك ذلك لأحد لأنك ستكون شاكياً لله لغير الله ...!
وهنا حتماً ستختل معادلة العدل الإلهى ... لصالحك .. لأن حاكمها لن يطبق مطلق
العدل فقط لأنه الكريم ، ولذلك سيسبق فضله عدله ... فلقد استخلصك لذاته ... لتكون
من خاصة أهل النورانيات ...

ولو سارع لك فى الدنيا بالخيرات ... لأتيت فى الآخرة من المُفلسين ...!
لكنه الكريم ذو الفضل العظيم ... يؤتيك هنا بقَدَر ... ليكون لك عنده أعظم قدر
ومقدار ... يوم تلقاه ...

لو أنه ما أحبك ... لما أتى بك أصلاً ... ولما كنت أنت موجوداً ... لكن حبه سبق
فكنت أنت هنا ... ومن أجل حبه أيضاً ستكون هناك ...!

فَأَلْقَ عَلَيْهِ هَمَّكَ ... فهو حتماً سيعولك ...!

وأقرعُ بابه يفتح لك ... واستمع لقارع بابك ... فإنى أعتقه هو ...!

ورقة عمل الخليفة ...

من أين وأين ولأين؟

إنَّ تصوُّر من يحيا في الدنيا أنه لها وهي له فقد أخطأ لأنه يقف في محطة انتقالية .
لقد كان في علم الله الأزلى ، ثم أوجد له ذاتاً ، ثم علّمه كل شيء فتشكّلت تلك
الذات . وأعطاه جسداً وروحاً . وقال له من أجلك خلقت كل شيء .

ولكن خلقتك لنفسى ... لتخلفنى فى أرضى ... ولتكون عليها من يلينى . وذلك
عهد الخلافة ، وتلك شرائعى تحويها كتبى .

اهبط عليها بسلام ... واستقم كما أمرت .. ولا تُضَيِّعْ عَهْدَ الخلافة ولا شرائعى ولا
كتبى ...

وأحذر صفقات الغى والوهم . لا تُلقِ بصفقتى للكينونة الحقيقية وللأبدية والخلود ،
مقابل صفقات مؤقتة زائلة .

... أنا الحقيقة الوحيدة ، أنا الحق ، وما سواى زائل ، فهو منى وإلى يعود .

... خلقتك وخلقت كل شيء ، وجعلت لك كل شيء ، لكنى لم أجعلك لشيء . .

... أنت الذى تليينى فى الأرض ، ومن بعدك يأتى كل شيء . ضع كل شيء تحت
قدميك ، تكن لى وأكن لك .

يا عبدى ... ما وسعتنى أرضى ولاسمائى ولكن وسعنى قلب عبدى المؤمن .

يا عبدى ... أين من سبقوك ؟! ... عادوا إلى ... وإلى تعود .

أذكرنى أذكرك ... وتقرب إلى ... أتقرب إليك أكثر ... وأمش إلى آتيك هرولة ... !
أطعنى ... يُطعك كل شيء ... أنت المحتاج إلى ... ولست أنا الذى يحتاج لشيءٍ أو
أحد ... لم أخلّك للدنيا كمنتهى ... "وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور..."

..... (ال عمران : ١٨٥)

.. " يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فمَلّاقيه ... " (الإنشاق : ٦)

.....

.....

.....

ورقة عمل الخليفة ...

فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ ... !!

وسط كل موجات التلاطم ، وأعاصير النفوس ، وضياح المعايير تتلألاً ومضات ساحرة من بعض القلوب البسيطة ... !!

قلوب خلعت سلطان الأرض الزائف ، سدّت آذانها عن صُراخِها ونهيقها ، وأنوفها عن رائحة المزيلة التي تفوح منها . وأغمضت عيونها عن قُبْح ما تدعو إليه وتترنّن له بِزَيْفها وضلالها البرّاق .

قلوبٌ ارتدّت نورانية إشراقات وفيوضات رحمت ربها . فأشرقت القلوب بنور ربها . وتلألأت في العيون لآلئ دمع عشق المحبوب بحق . دموع عشق ربهم الحق . فسطعت على الوجوه تجليات من أسرار ربهم الحق .

وسط كل الزحام رموا بالإسم والقلم والحرف والوصف ... ساروا إلى مولاهم الحق . وسط كل المعالم التائهة والموجات المتلاطمة ، وأعاصير النفوس الحائرة ... ساروا إلى النور ، وما أحوجهم إلى النور .

فَادَّهَمُ النور ... ليُخْرِجَهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النور .

قلوبٌ بسيطة تَعَمَّلَتْ بِربها ، فصار كل شيء تحت أقدامها قِزماً لا يبلغها وهي بالغته وساحقته بإذن ربها ...

قلوبٌ أشرقت بنور ربها ، لا تُشْرِكُ معه شيئاً ولا أحد . هَاجَرُوا لِمَنْ .. " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ " تاركى كل شيء ، حاملي قلوبهم الملائى به ، والتي وَسَعَتْهُ وَلَمْ تَسْغُهُ أَرْضُهُ وَلَا سَمَاوُهُ ... " نورهَم يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ " .. " يَقُولُونَ رَبَّنَا أَنْتُمْ لَنَا نُورُنَا وَاعْفُرْ لَنَا ، إِنَّكَ عَلَى شَيْءٍ قَدِيرٌ " (التحریم ٨)

إني ذاهب إلى ربي سيهدين ...

أرفض دق الساعات ...
 أفترش الشوق إليك وأنتظر ...
 في كل الأوقات ...
 وأفتش في كل ثوانِ الأيام ... أراجعها ...
 أرفض دق الساعات ... !
 الوقت يمر يُزلزلي ...
 بُركاني لا يهدأ أبداً ...
 ومُؤذّن قلبي لا يُفتر ...
 تكبير ... تكبير ... آهات ...
 وجهك أطلب ياربي ...
 أجلسني في حضرة قدسك ... !
 ارفعني فوق الأشياء ... !
 أتوضأ نوراً من نورك ...
 أركع ... أسجد ... في حبك ...
 خذني حيث اللاعودة ... حيث اللاأشياء ... !
 حيث اللا معنى ولا علم ... ولا وصف صفات ...
 حيث يضيع العقل ... ومعه الـ « أين » ...
 وتصمت صوت الساعات ...
 حيث يضيع الحرف ... يضيع الفعل ومعه الإسم ...
 وكل الكلمات ...
 في حضرة قدسك ... نورك يحو الظلمات ...
 لا ظلمات ... !
 لا كلمات ... !
 لا أمكنة ولا ساعات ... !

لا وصف صفات
 لا حرف ... ولا كلمات ...
 صمتى ينطق عنى ... سبحانك ...
 سبحانك وبحمدك ... ليس كمثلك شىء ...
 لا وصف صفات
 سبحانك وبحمدك ... ليس كمثلك شىء ...
 لا حرف ولا كلمات ...
 فى حضرة قدسك ...
 لا شىء سواك ...!
 لا شىء سواك ...!
 حيث الكون ... كما ... لا .. كون ... !
 ليس ... سواك ...
 نعلم عنك بفعلك
 أفعالك تثمر أسماء وصفات ...
 أما الذات ...
 لا حرف ولا كلمات ...
 لا وصف صفات ...
 ليس كمثلك شىء ...
 ليس ... سواك ...
 لا يعرف ذاتك ... إلاك ... !
 تنهار أمام الذات جميع الأشياء ... !
 تتعالى فوق الكل ... ،
 فلا إسم ... ولا وصف ... ولا كلمات ...
 سبحانك ... ،
 يامن ... مَلِك المالك والمملوك
 سبحانك ... ما عرفوك!
 سبحانك ... لو عرفوك
 لا تمتنعوا أن يصفوك !!

أحمد أبو النور

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٣	- وذكرهم بأيام الله
٥	- أحمد ربنا الله تعالى
١٣ - ٧	- قبل أن تقرأ هذا الكتاب ... ؟!
١٩ - ١٥	(التأمل الأول)
	- (الحقيقة ... خارج بيت العنكبوت) ..
	- أساس فخر الإنسان المعاصر
	- لتعمل العقول
	- العقل والساقية
	- الوثنية المعاصرة
	- الحقيقة غائبة
	- الخوف يزيد ... والهدف يبعد أكثر وأكثر
	- الإستسلام لخيوط العنكبوت
	- ما هي الحقيقة ... ؟!
	- علامات استفهام عديدة
	- راحلون أبناء راحلين
	- لماذا أتينا ؟! ولماذا نرحل .. ؟!
	- لماذا لا توجد إجابة ... ؟!
	- لنبدأ معاً الإجابة
٢٤ - ٢١	(التأمل الثاني) ♦♦
	- (مَنْ هُوَ الْأَوَّلُ .. ؟!)
	- هو الله
	- هو خالق العقل والتصور
	- كيف يمكنك أن تصف الله تعالى
	- ماذا نعرف عن الله تعالى
	- ذات الله تعالى

الصفحة	الموضوع
	- الحروف مخلوقة
	- خارج حيز التحدُّد
	- أفعال ، أحوال ، أسماء ، صفات
	- الذات ... والأسماء والصفات والأفعال والأحوال
	- التعدُّد ... فى أى شىء ... ؟!
٢٥ - ٤١	(التأهل الثالث) ...
	- (مَن نحن ؟!) ...
	- نحن لسنا ظاهرة طارئة
	- ذات أو نفس أزلية فى علم الله تعالى
	- مرحلة الخلق العادل للنفوس
	- حقائق فى عالم السكون
	- عالم الموت أو السكون أو عدم الوجود الأرضى
	- تعليم المعانى والممكنات
	- التشكُّل ... والشَّاكَلَة
	- النفس الشريرة والنفس التَّقِيَّة ... كيف ؟!
	- مَن الذى يختار .. ؟!
	- آدم أول حقيقة تتحوَّل من عالم السكون إلى عالم الوجود
	- ظهور عالم الذُّرِّيَّة
	- وما ربُّك بظلامٍ للعبيد
	- وكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ
	- كُنْتُمْ مَيِّتاً قَبْلَ حَيَاتِكُمْ .. وبعدها - أيضاً - تموت
	- الروح والنفس ليستا شيئاً واحداً
	- الروح حياة للجسد أكثر منها للنفس
	- نفخ الروح هى المرحلة الأخيرة بعد تمام الخلق
	- شهادة مِنَّا على أنفسنا
	- الله تعالى يعتدُّ بشهادتنا

الصفحة	الموضوع
	- النفس مخلوقة ... أما الروح ... !
	- التشكُّل ... أولاً ... أم أخيراً ... ؟
	- عرض الأمانة
	- شهادة لحقيقة وجودنا الواعى المدرك المميّز المخير
	- التعلُّم نوعان ... إلهى سابق وبيئى لاحق
	- الشاكلة ... هى المهيمن
	- التعلُّم البيئى ... أدوات وقيود
	- تصادم الشاكلة مع القيود
	- الأداء هادىء وتصادمى ومتوازن
	- درجة التوافق ودرجة النفور
	- درجة التوافق الكبيرة تُساير الإتجاه العام
	- درجة النفور الكبيرة تقود إلى عكس الإتجاه
	- النفس المتشكِّلة والطفل
	- كيف تنزوى النفس الناضجة بلا صوت داخل طفل .. ؟
	- قانون الجسد يحكم ... ؟
	- النفس ... واسترجاع ذاكرة النُّضج
	- أكثر الناس إعمالاً للمنطق والفكر والسعى للحقائق ... مَنْ هُمْ .. ؟
	- هل تذكر ما كُنْتَ فيه قبل مجيئك للأرض ... ؟
	- هل يتحالف جسدك مع نفسك للأرضيات دُون السمايات .. ؟
	- الملائكة خارج لجان الإمتحان !!
	- التذكُّر بالتذوُّق النفسى
	- الموت والنوم والإغماء
	- الإنسان ... الكائن المتمردُ يجهل حقيقته
	- الإنسان يحمل أطناناً من أسرار الله تعالى !
	- أصغر وأقلّ وأفقر الناس بالرغم ممّا يملك ... !

الصفحة	الموضوع
٤٨ - ٤٣	(التأمل الرابع) - (لماذا خلقنا الله) ... - تبارك الخالق - الإنسان سيّد مُسلّط على صُنعة يد الله تعالى - الكائن المُدكّل - لماذا نَحْنُ ... ؟ ... (لماذا خلقنا الله ؟) - العطاء المُجانيّ ... بإصرار ... ! - كلمة شكرًا ... عبادة ... ولكن بشروط - هل يُحبنا الله تعالى ؟ - إختلاف درجات الكرم والجودة الأخلاقية - إختلاف أنماط العطاء - إنْ أَحَبَّكَ أبواك ... فقد كان حُبُّه لك أعظم ٥٣ - ٤٩ (التأمل الخامس) - (ما احتياج الله إلينا ؟) - تنزّه ربنا عن النقص والإحتياج - مَنْ يَحْتَاج مَنْ ... ؟ - تساؤل منطقيّ - الله - تعالى - رب - الربوبية المُقيّدة - ربوبية الله تعالى غير مقيدة - الله رب خَلَقَ أو لم يَخْلُق ٦٢ - ٥٥ (التأمل السادس) - (علم الله ومشيئته) - المعرفة الأزلية الأبدية - من اللامتي الأزلية إلى اللامتي الأبدية - علم الإحصاء والإحاطة وليس القهر والإكراه

الصفحة	الموضوع
	- مشيئة الله الفَعَال
	- الإنسان صاحب مشيئة
	- مُكوّنات مشيئة الإنسان
	- القيود على مشيئة الإنسان ... لماذا ؟!
	- الله تعالى يباشر سلطانه
	- مشيئة الله تُنفّذ لك ما نَوَيْتَه
	- مشيئة الله تُعطّل مشيئتك ... لماذا ؟
	- الله - تعالى - يفعل لك كل شيء
	- نَمُ واستَرِحْ ... واترك هذا لله ... !
٧٠-٦٣	(التأمل السابع) ...
	- (مسلم .. مسيحي .. رجل .. امرأة .. غنى .. فقير)
	- التعلّم ... الإختيارات ... تمام التشكّل
	- وجود كل نفس بالشكل الذى تَسْتَحِقُّه
	- غَيْرَ دِينِهِ ... فأين اختباره .. ؟!
	- الرجل بعملية جراحية تحوّل لامرأة ... وهى تحوّل لرجل ... !!!
	- هو غنى .. وهى فقيرة ... هو مريض ... إلخ
	- معادلة العدل الإلهى منضبطة انضباطاً مطلقاً
	- مجتمع الأغنياء الفُتُوّات
	- لماذا خلقه الله - تعالى - أعمى .. ؟!
	- مولود بالتخلّف العقلى ... أين نفسه المتشكّلة .. ؟!
	- سقوط التكليف ... لماذا ؟!
	- احمِدْ رَبَّكَ
٨٢-٧١	(التأمل الثامن)
	- (القدر والقضاء) ...
	- القدر
	- القضاء

الصفحة	الموضوع
	(أ) تقدير العلم والحصر والإحاطة
	(ب) تقدير التدبير والفعل ...
	- ب/١ قدر تأصيل
	- ب/٢ قدر إظهار
	- ب/٣ قدر الجود والرحمات
	- ب/٤ قدر الدفع
	- ب/٥ قدر الرحمات التذكيرية
	- ب/٦ قدر النهايات الحتمية
	- ب/٧ أقدار لا يعلمها إلا الله تعالى
٨٨-٨٣	(التأمل التاسع)
	(يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ)
	- الخاتم والتصديق الإلهي
	- الإنسان ليس المفردة الوحيدة على سطح الكرة الأرضية
	- عدم الإطاحة بمشيئآت الآخرين
	- ما زال مُخَيَّرًا
	- إختيارك أولاً
	- هناك من افترى على الله - تعالى - كذباً
	- نظرية تلفيق المبررات
	- مَنْ يَشَاءُ الهداية
	- مَنْ يَشَاءُ الضلال
	- بمشيئته - تعالى - اهتدى فلان
	- بمشيئته - تعالى - ضلَّ فلان
	- فلماً زاغوا أزاغ الله قلوبهم
	- مَنْ شَاءَ فليؤمن وَمَنْ شَاءَ فليكفر
	- مُسَيِّرٌ فيما تختار

الصفحة	الموضوع
٩٨-٨٩	(التأمل العاشر) - (الخليفة لا يعلم) - كان يُفضّل أن يكون ملاكاً أو عصفوراً .. !! - الملاك ليس لديه وقت فراغ .. !! - العصفور يكذب ويسعى - الخليفة يتسلّم مقاليد الأرض - الإدارة بقوانين الله وأحكامه - الملائكة ... « نحنُ أولى » - الله - تعالى - يثق في الإنسان - الأمانة ... مرة أخرى - سُئِلْنَا ... فوافقنا - الإنسان أقوى من السماوات والأرض والجبال ... ! - الإنسان « ظُلوم » « جهول » ... لماذا ؟ ! - المؤكل والخليفة ... أصيل ومؤقت - إن الإنسان ليطغى - أؤمن الإنسان مكر الله ... ؟ ! - وما قدروا الله حق قدره - ضاقت الأرض على الإنسان ... وضاعت عليه نفسه .. !! - توكيل خاص بمهمة محدّدة - ضاعت حقيقة الشرائع من القلوب - المثقّفون يعبدون عقولهم - الأغنياء كاسحات جمع أموال - الفقراء أكثر فقراً - شعوب الدرجة الثالثة من تنابلة السلطان - نظرية السندباد - الحكومات تلعب دور « بابا » و « ماما » ..

الصفحة	الموضوع
	- شعوب الدرجة الأولى تُقرض شعوب الدرجة الثالثة
	- القروض ... مُخدّرات وأوهام وأفلام ساقطة وديانات وضعيّة
	- عقول شعوب الدرجة الأولى فى الفضاء
	- الكائنات العاقلة الأخرى فى الكون
	- الغربة والمرارة واللاهف
	- نَسُوا الله فَتَسِيَهُمْ
	- الله ... والدين ... فى الصلوات الرسمية . !!!
	- قانون الظلم أساس عدل المسيرة الإنسانية
	- ولكن يُؤخّرهم إلى أجلٍ مُسمّى
	- الحكمة الرّبّانية الإلهية مُنزّهة عن الزلل
	- اختلاف طبيعة الإنسان عن طبيعة الملائكة
	- الاختبار الصعب
١٠٩-٩٩	(التّامل الحادى عشر)
	- (حروب شيطانية)
	- عالم الملائكة وعالم الجنّ
	- الجنّ مخلوق قبل الإنسان
	- الجنّ والدين
	- الشياطين عبدة النار
	- كبرياء الشيطان يُلحّ عليه
	- بداية آدم هى بداية تدهور إبليس الرجيم
	- إبليس يترصّ بالبشريّة من أول انسان لآخر انسان
	- عباد الله ليس للشيطان عليهم سلطان
	- الضالون من نصيب إبليس .. !!
	- التصادم الأوّل بين الإنسان والشيطان
	- جنود ابليس يجوبون الارض والهواء والبحار
	- نحن نظنّ أننا وحدنا ... لأننا لا نرى .. !!

الصفحة	الموضوع
	- هل كل ما يدور بذهنك .. هو منك ... ؟!
	- الجهل بالعدو يُقوِّية ..
	- العالم الشيطاني ... تخصصات .. !!
	- الشيطان مُكوِّن منطقي ... في نظام الكون !!!
	- قانون الضدية المنسقة ..
	- أنت الذى تختار الفريق المُصاحب لك ..
	- ماذا عن لحظات الغضب ؟!
	- الشيطان يلعب دور المُفكر ..
	- الشيطان يلعب دور الواعظ ..
	- الفكر والأداء الشيطاني لا يُقرأ مُنذ الوهلة الأولى ... !
	- الأولياء والقديسون واختراقات الشياطين ..
	- المعجزات ... حُطط إبليسية للإضلال !!!
	- معرفة أسرارك ليست مُعجزات ولا بركات ولا كرامات .. !!
	- الإيمان بالمعجزات المفتعلة وإنكار الجن والشياطين ... !!
	- أنت صاحب القرار والسلوك الظاهر الأخير ..
١٣٠-١١١	(التأهل الثانى عشر) ..
	- (نائمون أكثر من ربع العمر ١٠٠)
	- الإنسان ينام أكثر من ربع العمر !!
	- النفس يقبضها الله - تعالى - أثناء النوم ..
	- راحة النفس خارج الجسد !!
	- النفس أثناء النوم « فيما لا يرى » ..
	- أنت الذى تختار أصدقاءك فى عالم « ما لا يرى » ..
	- النفس فى عالم الإمداد والشحن ..
	- عالم ال « أين » وال « متى » خارج حيز التحكُّم ..
	- استقبالات واحتفالات شيطانية ..
	- احتفالات ملائكية وتسبيحات سمائية ..

الموضوع	الصفحة
- العطاء فى عالم « اللأ أئنيّة »	
- الرؤى والأحلام	
- الله - تعالى - لا يُسلِّنا أثناء النوم	
- رؤيا سيدنا إبراهيم	
- إنا كذلك فجزى المحسنين	
- سيدنا يوسف يقص رؤياه على سيدنا يعقوب	
- الكواكب ... إخوة .. والشمس والقمر .. أب وأم ... !!!	
- سيدنا يوسف وصاحب السجن	
- دانيال النبى ورؤيا الملك	
- علم « تأويل الأحاديث » أو تفسير الأحلام	
- الرؤيا التحذيرية	
- الرؤيا التبشيرية	
- الرؤيا التعريفية	
- الرؤيا المباشرة	
- الرؤيا الرمزية	
- تأويل الأحاديث أحد العلوم اللدنية	
- الرؤيا رزق من الله يؤتاه أى إنسان	
- الرسول ﷺ قال عن الرؤيا	
- رؤيا تصنعها نفس الإنسان	
- الشيطان مصدر خطير للأحلام (الرؤى)	
- الله - تعالى - يستخدم عدوك لتعليمك	
- أحلام تخصص إزعاج . !!	
- الشياطين تعتبر أن لها حقاً تاريخياً فى الكرة الأرضية	
- الشيطان يخبرك عن المستقبل فى الأحلام .. كيف ؟!	
- الغيب المحض والغيب المعلوم	
- الشيطان يضرب عصفورين بحجر واحد .. !!	

الصفحة	الموضوع
	- أحلام تخصص فزع .. !! ..
	- الشيطان يُكْرَمُ العابد ... فى الأحلام .. !! ..
	- الشيطان يشرح للعالم ... !! ..
	- الشيطان فى هيئة الأولياء والقديسين لحل المشاكل ... !!! ..
	- كتب المعجزات ..
١٥٣-١٣١	التأمل الثالث عشر :
	- (ورقة عمل الخليفة)
	- تأدب مع ربك الله وأحبه من كل قلبك ..
	- اشهد له بما يليق به ..
	- الشرك الأكبر ..
	- الشرك الأصغر ..
	- اعبد حياً ..
	- أطعه يطعك كل شىء ..
	- لا تترك دورك ... أنت مُهم ..
	- لك وجود على خريطة الإنسانية ..
	- ولولا دفع الله الناس ..
	- خُلِّقَ لتكمل وتتكامل وتتفاعل ..
	- شرع الله لحياتك كلها ..
	- الخلافة والمنهج أداة ضبط قانون دفع الله الناس ..
	- لا تنسلخ .. من الأمانة ..
	- إن أكرمكم عند الله أتقاكم ..
	- لا تنس .. إنك تتجه للبداية ..
	- أنت مؤقت على الأرض ..
	- الأبدية للصالح والطالح ..
	- ربك يحتفظ بك للأبد ..
	- إن كان يرزقك غير الله فاقلق ..

الموضوع	الصفحة
- تعلم وأعمل
- مثله ... كمثل الحمار يحمل أسفارا
- مثله .. كمثل الكلب أن يحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث
- قلوب استحبت العمى ... !
- ادعُ إلى سبيل ربك
- عرفت ربك بربك
- دعه يتكلم هو من قلبك ... بلسانك
- الرقة المحمدية
- برقة محمد ووداعة عيسى وحنان يحيى وحلم إبراهيم ،
- وحكمة لقمان وعذوبة داود
- قل لهم ... ولا تقل لهم
- الق سيف مسرور
- لتكن قلبا ماشيا على قدمين
- لا تُنقِرْهم من ربك
- ولكن ... ليعلُ صوتك
- طَبَّقْ شرع ربك .. لكن .. لا تُشَرِّعْ
- حقت محبة الله للذين يتناصرون من أجله
- وحرِّمُوا ما رزقهم الله .. افتراءً على الله
- اصمّت ... تنطقُ حكمة
- الحكمة لا تخرج وسط الثرثرة
- ربك لا يحتاجك ثراثاً
- لا تتبدّل
- نحن نريدك كم أنت
- حاسبها .. قيل أن يحاسبها
- ارفع صوتك عليها
- لا .. لا .. ولا

الفهرس ...

الصفحة	الموضوع
	- أبديون ... ماذا بعد ... ؟ !
	- متعبون .. ثقلوا الأحمال .. لأجل
	- من أين وأين ولا أين ... ؟ !
	- ففروا إلى الله
	- إني ذاهب إلى ربي سيهدين

رقم الإيداع بدار الكتب
٩٨/٣٤٠٥

- نحن أصحاب وجود فى هذا الكون .. فلماذا أوجدنا الله ... أو لماذا خلقنا ... ؟

وماذا لو لم يخلقنا الله ... تعالى ... ؟؟؟؟

هو مسيحى .. وأنا مُسلم ... هى جميلة .. والأخرى أقل جمالاً ...
هو غنى ... والآخر فقير ... !

هذا صحيح والآخر مريض ... هذا مصرى .. والآخر أمريكى ...

هذا وُلِدَ سنة ١٩٩٠ والآخر وُلِدَ سنة ١٨٠٠ لماذا ... ؟

لماذا خلقنا الله - تعالى - على ما نحن عليه ... ؟ هل لنا دور فى ذلك ... ؟ نعم ... لنا دور ...

كيف ... ؟؟ وهل لنا درجة قدم فى الأزلية ... ؟ ومن أين أتينا ولائِن نذهب ... ؟

يحدث ما يحدث .. وتعودنا أن نسمع .. "اعمل ايه النصيب" ، "مش بإيدى" ، "مكتوب" !!

وبلغة أخرى يقول آخر .. أنا مُسَيَّر وغير مسئول عن أحداث كثيرة فى حياتى .. !

ألم يقل الله فى القرآن .. " يهدى من يشاء ويضل من يشاء "

ويقول آخر وكذلك جاء بالتوراة .. " يُرَحِّم من يشاء وَيُقَسِّ من يشاء .. " ..
فكيف إذن يحاسبنا الله ... ؟ وما هى الحقيقة ؟؟

وأكثر من ربع عمرنا نقضيه نائمين ...

ونرى ما نرى أثناء نومنا .. فهل يُسلِّبنا الله تعالى أثناء نومنا ... ؟ حاشا لله ...

وما هى حقيقة عوالم ما لا يُرى التى تحيط بنا طيلة عمرنا ... ؟

والكثير والكثير غير ذلك من مئات علامات الإستفهام

الإنسانية الحائرة ... والتى لم تجد معظمها إجابة ... حتى الآن ... !!

فما هى الحقيقة ... ؟؟؟؟

رحمك الله

داروهدان للطباعة

٥٩٢٣٣٤٤ - ٥٩٠٥٠٣٦